النفسُ البشريّةُ في سورة يوسف عليه السلام
«دراسة موضوعية»

د .شريفة بنت أحمد بن مبارك الغامدي[1]

المستخلص: اهتم هذا البحث ببيان أنواع النفس البشرية، وإبراز صفاتها – في ضوء سورة يوسف عليه السلام – وبيان أثر تلك الصفات علىٰ الفرد والمجتمع؛ ليتخلق المسلم بأخلاق الصالحين، ويتجنب صفات العصاة والمذنبين. وهذا ولا شك له أثره في الحفاظ علىٰ المجتمع، واستقراره، ورقيه وتقدمه. وقد سلكت في هذا المنهج الاستقرائي، والاستنباطي.

وقد خلصت من خلال هذا البحث إلىٰ جملة من النتائج؛ أهمها: أنّ القرآن الكريم بينَّ حقيقة النفس ومكنونها وأسرارها، بيانًا راعىٰ فيه قدرة الإنسان علىٰ الإدراك والفهم، كما بينَّ علاقة الإنسان بالنفس، وحاجته إليها في أمور دينه ودنياه. وأن العقل الإنساني عندما حاول فهم النفس، ومعرفة كنهها وأسرارها – بعيدًا وحي الله تعالىٰ– فإنه حار وتاه، وما توصّل إلىٰ حقيقة تقوم علىٰ برهان علمي مقنع، ولم يُخَلِف بحثه إلا الحيرة والغموض. أن النفس الإنسانية تتنوع إلىٰ ثلاثة أنواع؛ النفس الأمّارة بالسوء، النفس اللَّوامة، النفس المطمئنة، وهي حالات تعتري الإنسان حسب قربه من ربه وبعده عنه. وأن النّفس السوية التي يريدها القرآن هي التي تمد صاحبها بالقوة، وتشحنه بالعزيمة، فتدفعه إلىٰ الاعتراف بالخطأ، وانصاف الخصم علىٰ أحسن الوجوه. وأن المجتمع يتأثر إيجابـًا وسلبـًا بانتشار الصفات الطيبة أو الخبيثة فيه.

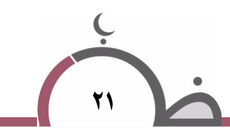
ومن أهم توصيات البحث: اهتمام المؤسسات الدينية والثقافية ووسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية بنشر قصص القدوة الصالحة، وبيان صفاتها؛ ليقتدي بهم الشباب. ويجب علىٰ كل من يجد في نفسه علمـًا أو فضلاً – إذا دعت الضرورة إلىٰ ذلك – أن يعلن عن نفسه، لا علىٰ سبيل التزكية، بل لتسخير ما عنده من علم لتقدم المجتمع.

الكلمات المفتاحية: النفس البشرية، اللوامة، الأمّارة، المطمئنة، سورة يوسف، العفو.

***

(١) أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية الآداب، بجامعة الإمام عبدالرحمن بن فيصل بالدمام.

البريد الإلكتروني: shghamdi@iau.edu.sa



The Human Soul in Surah Yusuf (Peace Be Upon Him)
Substantive Study

Dr. Sherifa bint Ahmed bin Mubarak Al-Ghamdi

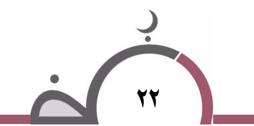
Abstract: This research is concerned with identifying the types of the Human Soul (*nafs*), highlighting its qualities - in the light of Surat Yusuf - and explaining the impact of those qualities on the individual and the society, so that the Muslim can have the morals of the righteous people, and avoid the qualities of the disobedient and sinners. This undoubtedly has an impact on preserving the stability, advancement and progress of society.

The research has adopted both the inductive and deductive approach; and has yielded many results, the most important of which are: The Holy Qur'an explained the reality, essence and secrets of the soul, an explanation that takes into account the ability of man to perceive and understand. It has also explained the relationship of man with the soul and his need for it in matters of his religion and life affairs. When the human mind tried to understand the soul, to know its essence and secrets - away from the revelation of Allah the Exalted - he became confused and lost, he has not come to a truth based on convincing scientific proof, and his research left nothing but confusion and ambiguity. The human soul is classified into three types: The soul that is prone to evil, the self-reproaching soul and the reassured soul. These divisions result from how a man is close or distant from his Lord. The good soul that the Qur'an wants is the one that supplies its owner with strength and fills him with determination, prompting him to admit his mistake, and to do justice to the opponent in the best way. The society is affected, positively and negatively, by the spread of good or bad qualities therein.

Among the most important recommendations of the research are: religious and cultural institutions, readable and audio-visual media should publish the stories of good people as examples and spread their good qualities so as to be followed by young people. Everyone who finds in himself knowledge or virtue - if necessary - must declare himself, not as a form of , but to harness what he has of knowledge for the progress of society.

Key words: Human Soul, the Self-Reproaching Soul, the Soul that is prone to Evil and the Reassured Soul, Surat Yusuf, Forgiving.

❊ ❊ ❊



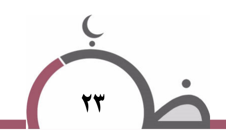
مقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله، صلىٰ الله وسلم وبارك عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين. أما بعد:

فقد خلق الله تعالىٰ الإنسان من جسد وروح، فالجسد حفنة من التراب، والروح نفحة من الوهاب، وأمده سبحانه بالعقل، وأودع فيه الشهوة، وبيَّن له طريق الحق وطريق الباطل، قال تعالىٰ: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد:١٠)، والإنسان – بحكم أنَّه مخلوق من جسد – فإنه يميل إلىٰ الشهوات والملذات، ولكنَّ الروح التي أودعها الله تعالىٰ في الجسد تسمو بالإنسان إلىٰ العلياء، وتدفع صاحبها دائماً إلىٰ الاتصاف بصفات العلماء والأنبياء، فالإنسان متأرجح بين السمو والهبوط، بين الطاعة والمعصية، بين الفضيلة والرذيلة.

والنفس هي مركز قُوىٰ الخير والشر في الإنسان، ولها صفات وخصائص كثيرة، وقد أعطاها سبحانه القدرة علىٰ إدراك الخير والشر، والتمييز بينهما، والاستعداد لهما. قال تعالىٰ: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ (الشمس: ٧ – ٨). فالنفس هي التي تدفع صاحبها إما إلىٰ الخير، وإما إلىٰ الشر، وهي التي تحمله لأن يكون مع الحق أو مع الباطل، وقد تأمر صاحبها بالسوء، وقد تلومه علىٰ المعاصي، وربما تبلغ النفس – بالإيمان والعمل الصالح –درجة الاطمئنان.

وقد أعطىٰ الله سبحانه الإنسان السلطان علىٰ نفسه، والقدرة علىٰ ترويضها، فقال سبحانه: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ (الشمس:٩-١٠) ومن هنا كان لزاماً علىٰ المؤمن أن يتعهد نفسه، وأن يروضها علىٰ فعل الخير، وينأىٰ بها عن الشر.



فعندما نتأمل سورة يوسف عليه السلام، ونتدبر آياتها، فإنَّنا نجد السورة الكريمة قد ذكرت أنواع النفس البشرية الثلاث؛ النفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة، وقد ساقت السورة الكريمة نماذج عديدة لهذه الأنفس، وبينت صفاتها؛ ليتخلق المسلم بأخلاق الصالحين، ويتجنب صفات العصاة والمذنبين، وهذا ولا شك له أثره في الحفاظ علىٰ المجتمع، واستقراره، ورقيه، وتقدمه.

ومن هنا فقد كان العزم علىٰ تناول تلك النماذج التي عرضتها السورة الكريمة للنفس البشرية، مع إبراز صفات كل نموذج، وبيان أثر تلك النماذج علىٰ الفرد والمجتمع، وذلك من خلال هذا البحث؛ الذي أعددته وسميته (النفسُ البشريّةُ في سورة يوسف عليه السلام دراسة موضوعية) والذي أسأل الله تعالىٰ فيه التوفيق والقبول.

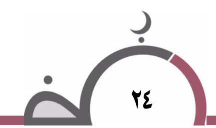
وسينصبُّ عملي – بعون الله عز وجل وتوفيقه – في هذا البحث علىٰ جَمْعِ الآيات القُرآنيّة المتعلِّقة بهذا الموضوع، ودراستها دراسة موضوعية وافية؛ بذكر سبب نزول الآيات – إن وجد – وإبراز صفات كل نفس من الأنفس التي عرضت لها الآيات، واستنباط ما فيها من حِكَمٍ وأحكامٍ وهداياتٍ وتوجيهاتٍ، تَهُمُّ المجتمعَ المسلم، وتُبَصِّرُهُ بأمور دينه، وتسمو به إلىٰ أعلىٰ الدرجات.

الدراسات السابقة:

لقد اطلعت علىٰ الأبحاث التي لها علاقة بموضوع بحثي فلم أجد دراسات مستقلة بهذا العنوان، إنما هنالك بعض الأبحاث التي تناولت بعض الألفاظ ذات العلاقة، وسأرتب أهم الدراسات التي وقفت عليها – ولها صلة بموضوعي هذا – ترتيباً زمنياً:

١ – النفس الإنسانية في الكتاب والسنة، دراسة تحليلية. زكي مصطفىٰ محمد البشايرة، رسالة ماجستير بكلية أصول الدين، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان،(٢٠٠٠م).

الرابط: http://search.mandumah.com/Record/755389



٢- أنـواع الـنفس ومـستوياتها، حكمـت عبـدالرحيم فريحـات، هـدي الإسـلام، الأردن، المجلد(٦٥)، العدد(٦)، (٢٠٠٧م).

الرابط: http://search.mandumah.com/Record/413299

٣- قراءة تحليلية في سورة يوسف، طالب عويد نايف الشمري، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد، العراق، (٢٠٠٨م).

الرابط: http://search.mandumah.com/Record/665657

٤- سـورة يوسـف قـراءة نفـسية، مـصطفىٰ مولـود عـشوي، مجلـة جامعـة الملـك سـعود، الرياض (١٤٢٨هـ).

الرابط: http://www.alukah.net/sharia/0/502/

٥- فوائد من سورة يوسف، د. عبـد العزيـز بـن محمـد الـسدحان، مقـالات بـشبكة الألوكـة (١٤٢٩هـ).

الرابط: http://www.alukah.net/sharia/0/3171/

٦- بنـاء الـسرد القصـصي في سـورة يوسـف، كـمال أحمـد غنـيم، مجلـة جامعـة الأقـصىٰ (سلسلة العلوم الإنسانية) المجلد (١٥)، العدد (٢) (٢٠١١م).

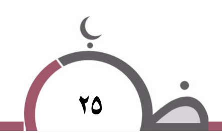
الرابط: https://www.alaqsa.edu.ps/site_resources/aqsa_magazine/files/374

٧- المـضامين التربويـة المـستنبطة مـن سـورة يوسـف وتطبيقاتهـا التربويـة، م. ماجـد أيـوب محمود، مجلة الفتح، العدد (٥٣).(٢٠١٣م).

الرابط: http://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=77547

٨- الـدلالات النفـسية للحـوار القـرآني في سـورة يوسـف عليه السلام، المؤلـف: Muhammad bin Hashimee & Mohd Shafie bin Zulkifli (٢٠١٦م).

الرابط: http://journal.kuis.edu.my/jsass/images/files4/4_016_Muhamm



أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلىٰ جملة من الأهداف، أهمها:

١- إبراز بعض النماذج السيئة للنفس البشرية، وبيان صفاتها؛ بهدف استشفاف منطلقاتها، وجوانبها المختلفة؛ لتنحية هذه النماذج عن المجتمع، أو علاجها، وإحلال البدائل الطيبة مكانها؛ وذلك يسهم في تنقية المجتمع من بذور الرذائل التي إن تركت بغير اجتثاث، فسرعان ما تنمو وتزدهر، فتقوض أسس المجتمع، وتوشك أن تقضي عليه.

٢- إبراز بعض النماذج الطيبة للنفس البشرية، وبيان صفاتها؛ بغية الاستفادة منها في تربية أفراد المجتمع، وتنمية مهارتهم؛ فيكون له انعكاسات أخلاقية علىٰ الأفراد؛ ومن ثم الاستفادة من ذلك في رقي المجتمع، وتقدمه.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، جاءت علىٰ النّحو التّالي:

- **مُقدِّمة:** وتشتمل علىٰ أهمّية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وخطته، وإجراءاته، والمنهج المتبع فيه.
- **التمهيد:** ويشتمل علىٰ بيان أنواع النفس البشرية في القرآن، والتعريف بسورة يوسف عليه السلام، وذلك ببيان اسم السورة الكريمة، ومكان نزولها وسببه، مع ذكر عدد آياتها، وأهم ما اشتملت عليه من مقاصد وأهداف.
- **المبحث الأوّل: النفس الأمارة بالسوء.**

النموذج الأول: إخوة يوسف عليه السلام.

(صفات هذه النفس - الأثر السيئ لهذه الصفات علىٰ الفرد والمجتمع).

النموذج الثاني: امرأة العزيز وصواحبها.

(صفات هذه النفس - الأثر السيئ لهذه الصفات علىٰ الفرد والمجتمع).

- **المبحث الثاني: النفس اللوامة:**

النموذج الأول: إخوة يوسف ﷺ بعد التوبة والإقرار بالذنب.

النموذج الثاني: امرأة العزيز وصواحبها بعد أن تحركت فيهن بواعث الندم.

(الأثر الطيب للنفس اللوامة علىٰ الفرد والمجتمع).

- **المبحث الثالث: النفس المطمئنة:**

النموذج الأول: يعقوب عليه السلام.

(صفات هذه النفس).

النموذج الثاني: يوسف عليه السلام.

(صفات هذه النفس).

(الأثر الطيب لصفات النفس المطمئنة علىٰ الفرد والمجتمع).

- **خاتمة:** عرضتُ فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث بجانب التّوصيات.

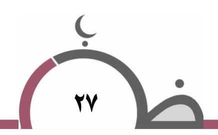
طرق البحث وإجراءاته:

أملاً في الوصول إلىٰ الحقائقِ العلميّة؛ فقد سرت في ركاب المنهج الاستقرائي، والاستنباطي، واستقرأت الآيات التي تكلمت عن النفس البشرية في سورة يوسف ودراستها دراسة موضوعيّة وافية فذكرت سبب نزول الآيات إن وجد، ثم استنبطت ما فيها من حِكَمٍ وأحكامٍ وهداياتٍ وتوجيهاتٍ تَهُمُّ المجتمعَ المسلم، وتُبَصِّرُهُ بأمور دينه، وتسمو به إلىٰ أعلىٰ الدرجات.

أما عن توثيق المادة العلمية في البحث فكان وفق الآتي:

١- عزوت الآيات القرآنية إلىٰ سورها ببيان اسم السورة ورقم الآية، وجعلتها في المتن.

٢- خرَّجتُ الأحاديث والآثار الواردة في صلب البحث، فإن كان الحديث أو الأثر في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بتخريجه منهما، وما كان في غيرهما، فخرجته من مظانه من كتب



السنة، والمسانيد، وغيرها، ثم ذكرتُ أقوال أهل الحديث في الحكم عليه.

٣- ذكرت أقوال المفسرين في بيان معاني الآيات، وسبب النزول إن وجد، واستنبطت ما فيها من حِكَمٍ وأحكامٍ وهداياتٍ وتوجيهات.

٤- عزوت الأقوال إلىٰ قائليها، بذكر اسم الكتاب الذي نُقِل منه، والجزء والصفحة، ووضع ما نُقِل بين علامتي تنصيص إن كان النقل نصـًا، أما إن كان النقل للفكرة والمعنىٰ فأشرت إليه بعبارة: ينظر: كتاب كذا، ثم ذكرتُ الجزء والصفحة.

٥- شرحت الألفاظ الغريبة والغامضة من مصادرها المعتبرة.

٦- لم أترجم للأعلام الواردة في البحث خشية الإطالة.

٧- وضعت فهرسـًا للمصادر والمراجع.

وأسأل الله تعالىٰ أن يكتب لهذا العمل القبول، وأن يجعله خالصـًا لوجهه الكريم، وصلِّ اللهم وأنعم وبارك علىٰ نبيِّنا محمد، وآله وسلِّم تسليمـًا كثيراً، والحمد لله أوّلاً وآخِرا.

***

تمهيد

النفس في القرآن:

مما لا شك فيه، ومما ثبت يقينًا أن البشر عندما يبتعدون عن وحي الله، وهدي السماء فإن ضلالهم يكون مبينًا، ولا يهتدون إلىٰ ما يبغون سبيلاً، وعندما حاول العقل الإنساني فهم النفس، ومعرفة كنهها وأسرارها - بعيدًا عن وحي الله تعالىٰ - فإنه حار وتاه، وما توصّل إلىٰ حقيقة تقوم علىٰ برهان علمي مقنع، ولم يُخَلِّف بحثه إلا غموضًا، وبقي الإنسان متخبطًا في دياجير الظلام. ولم يتمكن أحد من كشف أغوار النفس البشرية كما كشفها القرآن الكريم الذي بيَّن حقيقة النفس ومكنونها وأسرارها، بيانًا راعىٰ فيه قدرة الإنسان علىٰ الإدراك والفهم - من جانب -

وراعىٰ - من جانب آخر - علاقته الإنسان بالنفس، وحاجته إليها - في أمور دينه ودنياه - فرسم القرآن الكريم للنفس صورة واضحة نقية لا تخطئها عين[1].

وبيان ذلك علىٰ النحو التالي:

أولاً: أشار القرآن الكريم إلىٰ أن الله - تعالىٰ - خلق النفس وجعلها مركزاً لقوىٰ الخير والشر في الإنسان، وأعطاها - سبحانه - القدرة علىٰ إدراك الخير والشر، والتمييز بينهما، والاستعداد لهما فقال تعالىٰ: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ (الشمس: ٧ - ٨).

ثانيًا: أعطىٰ الله سبحانه الإنسان السلطان علىٰ نفسه، والقدرة علىٰ ترويضها، فقال ﷻ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ (الشمس: ٩ - ١٠).

ثالثًا: كثيرًا ما أطلق القرآن النفس علىٰ الإنسان، وهذا كثير وغالب في القرآن، فمِن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة: ٤٨)، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ (آل عمران: ١٤٥)، وقوله تعالىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ (القصص: ٣٣).

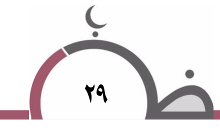
رابعًا: بيَّن القرآن أن النفس الإنسانية تتنوع إلىٰ ثلاثة أنواع:

النوع الأول: النفس الأمارة بالسوء:

وهي التي تأمر صاحبها بالسيّئات، وتحُضُّه علىٰ فعل المنكرات والموبقات، وهذه النفس هي التي قال عنها القرآن: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ (يوسف: ٥٣). قال ابن تيميه: «النفس

---

(١) لذا فإن القرآن عندما تحدث عن النفس بينَّ أنواعها، وعلاقة الإنسان بها، في حين أنه صرف العقل عن الإغراق في الروح والبحث عن ماهياتها؛ وذلك لعدم الجدوىٰ من معرفة كنهها، ولأن البحث عنها لا يعود علىٰ العقول إلا بتبديد الطاقة والجهد، فقال تعالىٰ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٨٥).



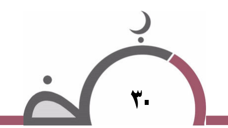
الأمارة بالسوء التي يغلب عليها اتباع هواها بفعل الذنوب والمعاصي»[1]، «فالنفس البشرية كثيرة الأمر بعمل السوء، لما فيها من دواعي الشهوات الجسمية والأهواء النفسية، بما ركب فيها من القوىٰ والآلات لتحصيل اللذات، وما يوسوس الشيطان ويزيّنه لها من النزغات»[2]. وعرفها الجرجاني بأنها: «النفس التي تميل إلىٰ الطبيعة البدنية، وتأمر باللذات والشهوات الحسية، وتجذب القلب إلىٰ الجهة السفلية، فهي مأوىٰ الشرور، ومنبع الأخلاق الذميمة»[3].

النوع الثاني: النفس اللَّوامة:

وهي التي تلوم صاحبها علىٰ المعاصي والذنوب، وقد أقسم الله تعالىٰ بهذه النفس في قوله: ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة: ٢)، «وهي التي تذنب وتتوب فعنها خير وشر لكن إذا فعلت الشر تابت وأنابت فتسمىٰ لوامة لأنها تلوم صاحبها علىٰ الذنوب ولأنها تتلوم أي تتردد بين الخير والشر»[4]، وتلوم صاحبها كذلك علىٰ الخير والشرّ وتندم علىٰ ما فات[5]، وقيل: «هي النفس التي اكتسبت بعض الفضيلة، فتلوم صاحبها إذا ارتكب مكروها، فهي دون النفس المطمئنة، وقيل: بل هي النفس التي قد اطمأنت في ذاتها، وترشحت لتأديب غيرها، فهي فوق النفس المطمئنة»[6]، وعرفها الجرجاني بأنها: «النفس التي تنورت بنور القلب قدر ما تنبهت به عن سنة الغفلة، كلما صدرت عنها سيئة، بحكم جبلتها الظلمانية، أخذت تلوم نفسها وتتوب عنها»[7].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٩/ ٢٩٤).
(٢) تفسير المراغي، لأحمد مصطفىٰ المراغي (١٣/ ٤).
(٣) التعريفات، للشريف الجرجاني (١/ ٢٤٣).
(٤) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (٩/ ٢٩٤).
(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري (٢٤/ ٥٠).
(٦) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ص٧٥٠).
(٧) التعريفات، للشريف الجرجاني (١/ ٢٤٣).



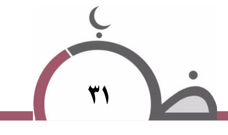
النوع الثالث: النفس المطمئنة:

وهي النفس التي تسمو وتصفو، وتصل إلىٰ مرحلة الاطمئنان؛ وذلك بالإيمان والعمل الصالح والطاعة التامة لأوامر الله، وهي التي رضي عنها ربها، فشملها سبحانه بعناياته، وهي التي قال عنها القرآن: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴾ (الفجر: ٢٧- ٣٠).

قال ابن القيم: «النفس المطمئنة التي رضيت بوكالة الله لها، وعلمت أن نصره لها خير من انتصارها هي لنفسها. فوثقت بالله، وسكنت إليه، واطمأنت به، وعلمت أن ضمانه حق، ووعده صدق، وأنه لا أوفىٰ بعهده من الله، ولا أصدق منه قيلا»[(١)]، وعرفها الجرجاني بأنها: «النفس التي تم تنورها بنور القلب حتىٰ انخلعت عن صفاتها الذميمة، وتخلقت بالأخلاق الحميدة»[(٢)].

مع مراعاة أن هذه الأنواع الثلاثة هي حالات تطرأ علىٰ الإنسان، وأن النفس قد تتغير من أمارة إلىٰ لوامة أو مطمئنة، فهي حالة تعتري الإنسان حسب قربه من ربه وبعده عنه، فإن كل إنسان لديه استعداد للخير والشر، ولا يخلو بشر من صفات الخير ومن صفات الشر، كل ما هنالك أنها تزيد وتنقص. يقول الإمام الرازي: «والمحققون قالوا: إن النفس الإنسانية شيء واحد، ولها صفات كثيرة، فإذا مالت إلىٰ العالم الإلهي كانت نفسا مطمئنة، وإذا مالت إلىٰ الشهوة والغضب كانت أمارة بالسوء»[(٣)].

(١) تفسير القرآن الكريم، لابن القيم (ص٦٥٠).
(٢) التعريفات، للشريف الجرجاني (١/ ٢٤٣).
(٣) مفاتيح الغيب، للرازي (١٨/ ٤٧١).



*** تعريف بسورة يوسف:**

اسم السورة:

تسمىٰ هذه السورة الكريمة بسورة يوسف، وهي تسمية توقيفية، وليس لهذه السورة غير هذا الاسم.

ووجه تسميتها ظاهر؛ فإنها ذكرت قصة يوسف عليه السلام كاملة، ولم تُذكر قصته عليه السلام في غير هذه السورة. وكذلك لم يُذكر اسمه عليه السلام في غير هذه السورة إلا في سورة الأنعام في قوله تعالىٰ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأنعام: ٨٤)، وسورة غافر في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ (غافر: ٣٤)، ولم تذكر قصة نبي في القرآن بمثل ما ذكرت قصة يوسف عليه السلام في هذه السورة من الإطناب[(١)].

الترتيب النزولي والمصحفي للسورة الكريمة:

سورة يوسف هي الثانية عشرة في ترتيب المصحف، فقد سبقها في الترتيب سور: الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، والتوبة، ويونس وهود. نزلت بعد سورة هود، وقبل سورة الحجر، وهي السورة الثالثة والخمسون في ترتيب نزول السور، علىٰ قول الجمهور[(٢)].

عدد آياتها وكلماتها وحروفها:

«وكلمها ألف وست وسبعون كلمة، وحروفها سبعة آلاف وثلاثة وأربعون، وهي مئة

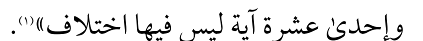
---

(١) يُنظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٢/ ١٩٧)، التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي (٧/ ٢٩٩).

(٢) يُنظر: تفسير الكشاف، لأبي القاسم الزمخشري (٢/ ٤٤٠)، مفاتيح الغيب، للرازي (١٨/ ٤١٦)، التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٢/ ١٩٧).

وإحدىٰ عشرة آية ليس فيها اختلاف»[1].

مكان نزول السورة:



سورة يوسف: مكية كلها[2]. قال الفيروزآبادي: «هذه السّورة مكّيّة بالاتّفاق»[3]، وهذا القول مروي عن ابن عباس[4]، وابن الزبير ﷺ، وهو قول الجمهور[5]. قال الألوسي: «وهو المعتمد»[6]. وحكىٰ أبو الفرج ابن الجوزي والخازن الإجماع علىٰ ذلك[7].

وذهب الزمخشري والرازي إلىٰ أن الآيات الثلاث الأولىٰ والآية السابعة من السورة

---

(١) يُنظر: البيان في عدّ آي القرآن، لأبي عمرو الداني (١/ ١٦٧)، ويُنظر: الكشف والبيان، للثعلبي (٥/ ١٩٦)، والسراج المنير في الإعانة علىٰ معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للخطيب الشربيني (٢/ ٨٧).

(٢) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي (٩/ ١١٨)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني (٣/ ٥).

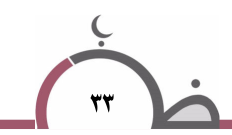
(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي (١/ ٢٥٥).

(٤) أخرج النحاس عن ابن عباس، قال: (نزلت سورة يوسف بمكة فهي مكية)، الناسخ والمنسوخ، للنحاس (١/ ٥٣٣)، وذكره السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤/ ٤٩٤) فقال: (أخرج النحاس وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس ﷺ قال: نزلت سورة يوسف بمكة. وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير ﷺ قال: أنزلت سورة يوسف بمكة).

(٥) يُنظر: تفسير الكشف والبيان، للثعلبي (٥/ ١٩٦)، وتفسير الوسيط، للواحدي (٢/ ٥٩٩)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٣٦٥).

(٦) روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، للألوسي (٦/ ٣٦٢).

(٧) يُنظر: زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج بن الجوزي (٢/ ٤١١)، لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٢/ ٥١٠).



مدنية[1]، وهذا القول مروي عن ابن عباس وقتادة وغيرهما[2]، وهو قول ضعيف مردود، أنكره أكثر المفسرين. قال الألوسي – تعقبًا علىٰ هذا القول –: «وكل ذلك واهٍ جدًا، لا يلتفت إليه، وما اعتمدناه – كغيرنا – هو الثابت عن الحبر»[3]، وقال الطاهر ابن عاشور: «وهي مكية علىٰ القول الذي لا ينبغي الالتفات إلىٰ غيره. وقد قيل: إن الآيات الثلاث من أولها مدنية. قال في الإتقان: وهو واهٍ لا يلتفت إليه»[4].

سبب نزولها:

ورد في سبب نزول السورة الكريمة روايات متعددة، أصحها ما رُوي عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه فِي قَوْلِ اللهِ عز وجل: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ (يوسف:٣) ...الْآيَةُ. قَالَ: (نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَسُولِ ﷺ فَتَلَا عَلَيْهِمْ زَمَانًا فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ قَصَصْتَ عَلَيْنَا. فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ (يوسف:١) تَلَا إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ﴾ (يوسف:٣) ...الْآيَةُ. فَتَلَا عَلَيْهِمْ زَمَانًا فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ حَدَّثْتَنَا. فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ (الزمر:٢٣) ...الْآيَةُ كُلُّ ذَلِكَ يُؤْمَرُ بِالْقُرْآنِ)[5].

---

(١) تفسير الكشاف، لأبي القاسم الزمخشري (٢٢/ ٤٤٠)، مفاتيح الغيب، للرازي (١٨/ ٤١٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي (٩/ ١١٨).

(٣) روح المعاني، للألوسي (٦/ ٣٦٢).

(٤) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٢/ ١٩٧)، الإتقان في علوم القرآن، للحافظ السيوطي (١/ ٥٩).

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان في تأويل القرآن (١٥/ ٥٥٣)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (١٢/ ٥٦٧)، والبزار في مسند البزار (٣/ ٣٢٥)، رقم (١١٣٥)، وأبو يعلىٰ في مسند أبي يعلىٰ (٢/ ٨٧)، رقم (٧٤٠)، والحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين، كتاب التفسير، سورة يوسف (٢/ ٣٧٦)، رقم (٣٣١٩)، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص٤٠٧)، والسيوطي في=

مناسبتها لما قبلها:

«ووجه مناسبتها للتي قبلها: اشتمالها على شرح ما قاساه بعض الأنبياء عليهم السلام من الأقارب. وفي الأولى ذكر ما لقوا من الأجانب، وأيضا قد وقع فيما قبل ﴿فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ﴾ (هود: ٧١)، وقوله سبحانه: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ (هود: ٧٣)، ووقع هنا حال يعقوب مع أولاده، وما صارت إليه عاقبة أمرهم، مما هو أقوى شاهد على الرحمة»[1].

فواصل السورة:

«مجموع فواصل آياتها يجمعها قولك: (لم نر) منها آية واحدة على اللام: ﴿قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (يوسف:٦٦)»[2].

مقصود السّورة إجمالاً:

مقصود السّورة إجمالاً: تسلية رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم عما أصابهم بمكة من أذى المشركين، وبشارتهم بالنصر؛ وذلك بذكر قصة يوسف عليه السلام وأخذ العبرة بما كان فيها من الأمور العجيبة.

يقول الطاهر بن عاشور: «أهم أغراضها: بيان قصة يوسف عليه السلام مع إخوته، وما لقيه في حياته، وما في ذلك من العبر من نواح مختلفة، وفيها إثبات أن بعض المرائي قد يكون إنباء بأمر مغيب، وأن تعبير الرؤيا علم يهبه الله لمن يشاء من صالحي عباده، وتحاسد القرابة بينهم، ولطف

=الدرالمنثور (٤/ ٤٩٦)، ونسبه إلى إسحاق بن راهويه، والبزار، وأبي يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وأبي الشيخ، وابن مردويه. الحكم على الحديث: قال الحاكم: «هَـٰذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ». تعليق الذهبي في التلخيص: صحيح.

(١) روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، للألوسي (٦/ ٣٦٢).

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي (١/ ٢٥٥).



الله بمن يصطفيه من عباده، والعبرة بحسب العواقب، والوفاء، والأمانة، والصدق، والتوبة، وسكنىٰ إسرائيل وبنيه بأرض مصر، وتسلية النبيء ﷺ بما لقيه يعقوب ويوسف عليهما السلام مِن آلِهِمْ من الأذىٰ، وفيها العبرة بصبر الأنبياء مثل يعقوب ويوسف عليهما السلام علىٰ البلوىٰ، وكيف تكون لهم العاقبة، وفيها العبرة بهجرة قوم النبي ﷺ إلىٰ البلد الذي حل به كما فعل يعقوب عليه السلام وآله، وفيها من عبر تاريخ الأمم والحضارة القديمة وقوانينها ونظام حكوماتها وعقوباتها وتجارتها، واسترقاق الصبي اللقيط، واسترقاق السارق، وأحوال المساجين، ومراقبة المكاييل»[1].

ويضيف البقاعي وجهًا آخر فيقول: «مقصودها: وصف الكتاب بالإبانة لكل ما يوجب الهدىٰ، لما ثبت فيما مضىٰ، ويأتي في هذه السورة من تمام علم منزله غيبًا، وشهادة، وشمول قدرته قولاً وفعلاً. وهذه القصة – كما ترىٰ – أنسب الأشياء لهذا المقصود؛ فلذلك سميت سورة يوسف – والله أعلم –»[2].

نماذج النفس البشرية في سورة يوسف:

ذكرت سورة يوسف أنواع النفس البشرية الثلاث.

النفس الأمارة بالسوء. وساقت السورة الكريمة علىٰ ذلك أنموذجين:

النموذج الأول: إخوة يوسف عليه السلام عندما دفعهم الحقد والحسد إلىٰ قتل أخيهم.

النموذج الثاني: امرأة العزيز وصواحبها؛ عندما استبدت بهم الشهوة، وعملوا علىٰ ارتكاب الفاحشة.

النفس اللوامة. وساقت علىٰ ذلك أنموذجين:

النموذج الأول: إخوة يوسف عليه السلام عندما ندموا علىٰ ما اقترفوا في حق أخيهم وأبيهم.

---

(١) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٢/ ١٩٨).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي (١٠/ ١).

النموذج الثاني: امرأة العزيز؛ بعد أن تحركت فيها بواعث الندم، وأعلنت براءة يوسف مما اتهم به.

النفس المطمئنة. (وهي النفس الربانية) وساقت على ذلك أنموذجين:

النموذج الأول: يعقوب عليه السلام.

النموذج الثاني: يوسف عليه السلام.

وإلى جانب ذلك تعرض السورة الشخصيات المحيطة بدرجات متفاوتة من التركيز؛ مثل شخصية العزيز والملك والساقي وغيرهم. وهي وإن كانت شخصيات مؤثرة في القصة، ولكني سأكتفي بذكر النماذج السابقة؛ لوفائها بذكر نماذج النفس البشرية.

***

المبحث الأول
النفس الأمارة بالسوء

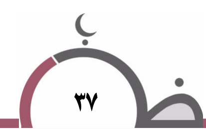
النموذج الأول: إخوة يوسف عليه السلام:

النموذج الأول الذي عرضته السورة للنفس الأمارة بالسوء هو النفس الغيورة، والمثال على ذلك إخوة يوسف عليه السلام الذين أنستهم الغيرة وشائج الرحم، وروابط الدم، وأعماهم الحقد عن هول الجريمة وعاقبتها.

الآيات التي عرضت لهذا النموذج:

لقد عرض الله تعالى صفات إخوة يوسف عليه السلام، وذكر المؤامرة التي دبروها لأخيهم، فقال سبحانه: ﴿ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ (يوسف:٨) ادعى أخوة يوسف عليه السلام أن أباهم يحب يوسف وأخاه بنيامين أكثر منهم[1]، وتعجبوا من ذلك؛

(١) وكان بنيامين شقيق يوسف لأمه. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٣١٩). =



لأنهم يرون أنفسهم الرجال الأقوياء، أصحاب القوة والقدرة علىٰ خدمته ومنفعته والدفاع عنه دون يوسف وأخيه. واعتبروا ذلك خطأ من أبيهم يوجب عدم احترامه وتوقيره، وأكدوا ذلك بقولهم: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ لفي خطأ ظاهر، حيث قدم يوسف وأخاه علينا، وأحبهما أكثر منا. ووجه الخطأ أنه فضل صبيين صغيرين علىٰ العصبة[1]. ولم يقصدوا الضلال في العقيدة والدين؛ إذ لو أرادوه لكانوا كفارًا، وهم كانوا مؤمنين علىٰ دين أبيهم، وإنما قصدوا عدم رعاية المصالح في الدنيا، في إيثاره اثنين علىٰ عشرة، مع استوائهم في الانتساب إليه[2]. ولكنَّه علىٰ كل حال سوء أدب مع الوالد والرسول[3].

=وقد بينَّ المفسرون: أنَّ يعقوب عليه السلام كان يفضل يوسف؛ لما كان يتوسم فيه من الخير العظيم، وشمائل النبوة والكمال في الخلق والخلق، ولما رأىٰ الرؤيا تضاعفت له المحبة، وأنه ما فضلهما إلا في المحبة. والمحبة ليست في وسع البشر، فكان معذورًا فيه، ولا يلحقه بسبب ذلك لوم، وقيل: إن ذلك كان لموت أمهما وهما صغار. ويوسف عليه السلام وإن كان صغيرًا إلا أنه كان يخدم أباه بأنواع من الخدم أشرف وأعلىٰ بما كان يصدر عن سائر الأولاد. يُنظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٣٢٠)، مفاتيح الغيب، للرازي (١٨/ ٤٢٣)، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، للألوسي (٦/ ٣٨٣).

(١) عصبة الرجل: بنوه وقرابته لأبيه؛ سموا بذلك لأنهم عصبوا به - بالتخفيف - أي أحاطوا به. والعصبة من الرجال: ما بين العشرة إلىٰ الأربعين. والعصابة - بالكسر -: الجماعة من الناس والخيل والطير. مختار الصحاح، للرازي (١/ ٢١٠)، مادة (عصب).

(٢) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي (٩/ ١٣١).

(٣) وقد استدل بعض المفسرين بهذه الآية علىٰ أنَّ إخوة يوسف لم يكونوا أنبياء. وفي ذلك يقول الشوكاني: «وفي هذا دليل علىٰ أن إخوة يوسف ما كانوا أنبياء، فإن الأنبياء لا يجوز عليهم التواطؤ علىٰ القتل لمسلم ظلمًا وبغيا، وقيل: كانوا أنبياء، وكان ذلك منهم زلة قدم، وأوقعهم فيها التهاب=

﴿ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا ﴾ (يوسف:٩) أي: ما دام أبونا مصرًا علىٰ محبة يوسف وأخيه، وتفضيلهما علينا، فالحل أن تقتلوا يوسف، أو أن تغيبوه عن أبيه؛ بأن تلقوه في أرض بعيدة مجهولة، ويظل فيها حتىٰ يموت، فلا يتمكن أبوه من رؤيته، فيحصل المقصود. ولذلك قالوا: ﴿يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ ﴾ أي: تخلص لكم محبة أبيكم، فيكون لكم دون غيركم. أو يفرغ لكم من الشغل بيوسف[1]. ﴿ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴾ صالحين في دينكم، بأن تتوبوا إلىٰ الله بعد ذلك، فيقبل الله توبتكم، وتكونوا صالحين في دنياكم بعد أن خلت من المنغصات التي كان يثيرها وجود يوسف بينكم، «أو يصلح شأنكم عند أبيكم ويصير أبوكم محبا لكم مشتغلا بشأنكم»[2].

﴿ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾ (يوسف:١٠) لقد استعظم أحد إخوة يوسف عليه السلام قتله[3] لأنَّ القتل جرم عظيم، وأشار عليهم – إن كانوا لا محالة عازمين علىٰ ما يقولون – أن يرتكبوا أخف الضررين؛ وذلك بأن يلقوا يوسف عليه السلام في قعر الْجُبِّ[4]؛ عسىٰ أن يجده بعض المسافرين، فيذهب به، فيستريحون منه، ويحصل لهم

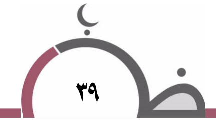
=نار الحسد في صدورهم واضطرام جمرات الغيظ في قلوبهم. ورد بأن الأنبياء معصومون عن مثل هذه المعصية الكبيرة المتبالغة في الكبر، مع ما في ذلك من قطع الرحم وعقوق الوالد وافتراء الكذب، وقيل: إنهم لم يكونوا في ذلك الوقت أنبياء، بل صاروا أنبياء من بعد». فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني (٣/ ١١).

(١) يُنظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٤٤٧).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (١٨/ ٤٢٤).

(٣) قال السدي: الذي قال ذلك هو يهوذا. وقال مجاهد: شمعون الصفا. وقيل: غير ذلك. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٣١٩).

(٤) الجُبُّ: البِئْر لَمْ تُطْوَ، وَقِيلَ: هِيَ البِئر الْكَثِيرَةُ الْمَاءِ البَعِيدةُ القَعْرِ. لسان العرب، لابن منظور، مادة (جبب) (١/ ٢٥٠)، ويُنظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص١٨٢).



المقصود بأقل جرم ممكن. يقول الشيخ السعدي: «وهذا القائل أحسنهم رأيًا في يوسف، وأبرهم وأتقاهم في هذه القضية، فإن بعض الشر أهون من بعض، والضرر الخفيف يدفع به الضرر الثقيل»[1].

ولما تواطؤوا علىٰ أخذ يوسف عليه السلام، واتفقوا علىٰ طرحه في البئر، توجهوا إلىٰ أبيهم، وخاطبوه قائلين: ﴿ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ۝١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (يوسف:١١ - ١٢) أي شيء يجعلك لا تأمنا علىٰ يوسف في خروجه معنا؟ والحال أنه أخونا، ونحن لا نريد له إلا الخير بنصحه، والتودد إليه، فإذا كان الأمر كذلك فإذن له؛ ليذهب معنا غدًا؛ فينعم ويدفع السآمة عن نفسه، عن طريق اللعب والتسابق معنا، ثم تعهدوا بإرجاعه إليه، وبحفظه كل الحفظ من أن يصيبه مكروه، أو يمسه سوء، فقالوا: ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ يقول الحافظ ابن كثير: «وهذه توطئة ودعوىٰ، وهم يريدون خلاف ذلك؛ لما له في قلوبهم من الحسد لحب أبيه له»[2].

﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴾ (يوسف:١٣) قال يعقوب عليه السلام لأبنائه لما طلبوا منه أن يسمح ليوسف عليه السلام بالخروج معهم: إنني ليحزنني حزنًا شديدًا فراق يوسف، وأخشىٰ إن أخذتموه معكم أن يأكله الذئب، وأنتم منشغلون عنه بشؤون أنفسكم، «فأخذوا من فمه هذه الكلمة، وجعلوها عذرهم فيما فعلوه»[3].

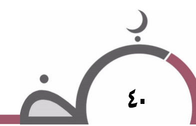
وقد حاول أبناء يعقوب إدخال الطمأنينة علىٰ قلب أبيهم، وإزالة الحزن والخوف عن نفسه، بما قطعوا علىٰ أنفسهم من العهود والمواثيق، فقالوا: ﴿ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص٣٩٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٣١٩).

(٣) المرجع السابق (٤/ ٣٢٠).



إِذًا لَّخَسِرُونَ ﴾ (يوسف:١٤) أي: لئن أصاب الذئب أخانا وهو معنا، ونحن عصابة، إنا في هذه الحالة لخاسرون خسارة عظيمة، نستحق بسببها عدم الصلاح والفلاح.

ثم أخبر ﷻ عن لطفه ورحمته بيوسف عليه السلام وعنايته التي كانت تحوطه، عندما ذهب به إخوته، وأجمعوا أمرهم علىٰ أن يلقوه في قعر الجب، فقال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ (يوسف:١٥) أي: فلما ذهب إخوة يوسف بأخيهم – بعد أن اطمئن يعقوب عليه السلام لكلامهم، وأذن لهم أن يأخذوه – وبدأوا في تنفيذ مخططهم الخبيث، وألقوه في البئر من دون رحمة أو شفقة[١] أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ يوسف عليه السلام عن طريق الإلهام القلبي، أو عن طريق جبريل عليه السلام أو عن طريق الرؤيا الصالحة –[٢] ﴿ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا ﴾ أي: لتخبرنهم في المستقبل بما فعلوه معك من إلقائك في الجب، ومن إنجاء الله – تعالىٰ – لك ﴿ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ والحال أنهم لا يحسون ولا يشعرون بإيحاء الله إليه، وقيل: لا يشعرون في الوقت الذي تخبرهم فيه بأمرهم هذا، بأنك أنت يوسف؛ لاعتقادهم أنك قد هلكت، ولطول المدة التي حصل فيها الفراق[٣].

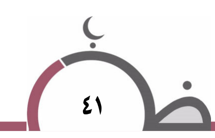
ثم قصَّ ﷻ ما قاله إخوة يوسف لأبيهم بعد أن فعلوا ما فعلوا، فقال سبحانه: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ۝١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ (يوسف:١٦ – ١٧) أي: وجاءوا أباهم بعد أن أقبل الليل بظلامه

---

(١) يقول الألوسي: «والروايات في كيفية إلقائه في الجب، وما قاله لإخوته عند إلقائه، وما قالوه له كثيرة. وقد تضمنت ما يلين له الصخر. لكن ليس فيها ما له سند يعول عليه». روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٦/ ٣٨٩).

(٢) المرجع السابق (٦/ ٣٨٩).

(٣) يُنظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٣٢٠).



يتباكون، متظاهرين بالحزن والأسىٰ لما حدث ليوسف، فقالُوا: يا أَبانا إِنَّا ذَهَبْنا نتسابق. وَتَرَكْنا يُوسُفَ عند طعامنا وثيابنا، فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ في تلك الفترة التي تركناه فيها عند متاعنا. وإنا لنعلم أنك لست بمصدق لنا فيما أخبرناك به؛ لسوء ظنك بنا، وشدة محبتك له، «وهذه الجملة الكريمة توحىٰ بكذبهم علىٰ أبيهم، وبمخادعتهم له، ويكاد المريب أن يقول: خذوني - كما يقولون -»[1].

﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ (يوسف: ١٨) لقد حاولوا تأكيد قولهم، فوضعوا علىٰ قميص يوسف عليه السلام دمًا مصطنعًا ليس من جسم يوسف عليه السلام ولكن يعقوب عليه السلام أدرك كذبهم، فقال لأبنائه: ﴿ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ ﴾ أي: إن الأمر ليس كما زعمتم، والحق أن هذا من تدبير أنفسكم التي حقدت علىٰ يوسف، وزينت لكم فعل ما فعلتموه[2]، ثم استعان علىٰ فراق ولده بالصبر، وفوض الأمر إلىٰ ربه، فقال: ﴿ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ فهو سبحانه الذي يستعان به، وهو وحده الذي يطلب منه العون، فأستعين به، وأطلب عونه علىٰ إظهار كذبكم.

صفات هذه النفس كما وردت في الآيات الكريمة:

عندما نتدبر الآيات الكريمة التي عرضت لنا موقف أبناء يعقوب عليه السلام من أخيهم نقف علىٰ جملة من صفات النفس الأمارة بالسوء، والتي نستطيع أن نصفها - بمجمل هذه الصفات - أنها نفس غيورة:

الصفة الأولىٰ: الحقد والحسد، هذه أول صفة من صفات أبناء يعقوب السيئة، التي أشارت

---

(١) التفسير الوسيط، لمحمد سيد طنطاوي (٧/ ٣٣٠).

(٢) يقول الشوكاني: «وقد استدل يعقوب علىٰ كذبهم بصحة القميص، وقال لهم: متىٰ كان هذا الذئب حكيما يأكل يوسف، ولا يخرق القميص؟». فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٣/ ١٤).

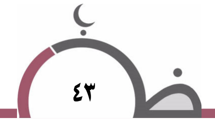
إليها الآيات؛ وهي صفة الحقد والحسد، والتي هي أساس كل مهلكة، وسبب كل مفسدة، فقد دفعهم حسدهم لأخيهم، وحقدهم عليه إلىٰ الافتراء والتعالي والكبر، وتجاوز حد الأدب مع أبيهم، فانتقلوا من خطأ إلىٰ خطأ أكبر، ومن سيئ إلىٰ أسوأ؛ فقد ادعوا أن أباهم يحب يوسف عليه السلام وأخاه بنيامين أكثر منهم، وعدُّوا ذلك ضلالاً من أبيهم يوجب عدم احترامه وتوقيره، ثم ها هو الحقد والحسد يحملهم علىٰ أعظم جريمة يحاسب عليها الإنسان، وذلك عندما حاولوا قتل أخيهم وهم أبناء نبي كريم!

لقد تعمق الحقد والحسد في قلب أبناء يعقوب عليه السلام، وقد بدا أثر ذلك في مشاهد عديدة من تلك القصة، ومن ذلك ما قالوه عندما وضع يوسف عليه السلام السقاية في رحل أخيه؛ ليأخذه، فما أن رأوا هذا التدبير - وهم لا يعلمون ما وراءه - حتىٰ بدا حقدهم القديم علىٰ يوسف: ﴿يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ (يوسف:٧٧)، كما بدا أثر الحسد كذلك فيما قالوه لأبيهم عندما رأوه يبكي علىٰ يوسف وأخيه بعد أن أخبروه أن العزيز احتجزه: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾ (يوسف:٨٥)، ومن ذلك تعليقهم علىٰ أبيهم - وهو يستنشق عبير يوسف عليه السلام لما شم قميصه - ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ﴾ (يوسف:٩٥).

الصفة الثانية: الأنانية، وقد ظهرت هذه الصفة في قولهم: ﴿يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ﴾ (يوسف:٩) فقد تخيلوا أن يوسف شغل أباهم بحبه له، وصرف وجهه إليه، فإذا قتلوا يوسف أو غربوه أقبل أبوهم عليهم بالميل والمحبة. فعلوا ذلك ولم يعلمهم يوسف برؤياه، فكيف لو أخبرهم؟! لا شك أنه كان أدعىٰ إلىٰ مزيد من الحقد عليه.

الصفة الثالثة: المكر والخداع، فهي نفس مخادعة كذابة ماكرة متلونة، وقد ظهرت هذه الصفات في مشاهد عديدة من مشاهد القصة:

المشهد الأول: عندما برر أبناء يعقوب لأنفسهم قتل أخيهم بزعم أن أباه يحبه أكثر منهم، وقصدوا بهذا التبرير درء الخطأ عن أنفسهم فيما يفعلونه بيوسف عليه السلام وإلقاء تبعاته علىٰ أبيه الذي



فرّق بينهم – في زعمهم – في المعاملة، ولهذا قالوا: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف:٨).

المشهد الثاني: في قولهم: ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمًا صَـٰلِحِينَ﴾ (يوسف:٩) فأضمروا التوبة قبل الذنب. يقول الشيخ السعدي: «فقدموا العزم علىٰ التوبة قبل صدور الذنب منهم تسهيلا لفعله، وإزالة لشناعته، وتنشيطًا من بعضهم لبعض»[1].

المشهد الثالث: حينما كذبوا واحتالوا علىٰ أبيهم في أخذ يوسف عليه السلام وقالوا: ﴿يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ۝ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدًا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ (يوسف: ١١- ١٢)، وما قولهم هذا إلا لشدة احتيالهم علىٰ أبيهم؛ لهذا أكدوا هذه الجملة والتي قبلها بجملة من المؤكدات التي لا تخفىٰ «وهو أسلوب يبدو فيه التحايل الشديد علىٰ أبيهم؛ لإقناعه بما يريدون تنفيذه وتحقيقه من مآرب سيئة»[2]. يقول الشوكاني: «لما أجمع رأيهم علىٰ أن يلقوه في غيابات الجب، جاءوا إلىٰ أبيهم وخاطبوه بلفظ الأبوة استعطافا له، وتحريكا للحنو الذي جبلت عليه طبائع الآباء للأبناء، وتوسلا بذلك إلىٰ تمام ما يريدونه من الكيد الذي دبروه، واستفهموه استفهام المنكر لأمر ينبغي أن يكون الواقع علىٰ خلافه، فقالوا: يا أبانا ما لك لا تأمنا علىٰ يوسف»[3]. ويقول القاسمي ما ملخصه: «وفي الآية من الفوائد: أن الحسد يدعو إلىٰ المكر بالمحسود وبمن يراعيه...وأن الحاسد إذا ادعىٰ النصح والحفظ والمحبة، لم يصدق، وأن من طلب مراده بمعصية الله – تعالىٰ – فضحه الله عز وجل، وأن القدر كائن، وأن الحذر لا ينجىٰ منه...»[4].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص٣٩٤).

(٢) التفسير الوسيط، لمحمد سيد طنطاوي (٧/ ٣٢٧).

(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني (٣/ ١٢).

(٤) يُنظر: محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي (٦/ ١٦٠).

الصفة الرابعة: التكبر، فتلك نفس متكبرة، لا تجل الكبير، ولا تثق بالعلماء، وقد ظهرت هذه الصفة في قولهم: ﴿ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ ﴾ (يوسف:٨) وذلك ينم عن تكبرهم وتعاليهم؛ ولهذا تجرأوا علىٰ أبيهم، وتجاوزوا الحد معه، ووصفوه بما لا يليق، – وهو النبي المرسل، فضلا عن كونه أباهم فقالوا: ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (يوسف:٨) يقول الإمام الرازي: «إن اجتهادهم أدىٰ إلىٰ تخطئة أبيهم في ذلك الاجتهاد؛ وذلك لأنهم كانوا يقولون: هما صبيان ما بلغا العقل الكامل ونحن متقدمون عليهما في السن والعقل والكفاية والمنفعة وكثرة الخدمة والقيام بالمهمات وإصراره علىٰ تقديم يوسف علينا يخالف هذا الدليل»[1]، كما ظهرت هذه الصفات كذلك في قولهم لأبيهم – عندما شم قميص يوسف عليه السلام – ﴿ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴾ (يوسف:٩٥).

الصفة الخامسة: القسوة، وقد ظهرت هذه الصفة في قولهم: ﴿ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴾ (يوسف:٩) لقد حملهم الحسد علىٰ قتل أخيهم أو تغريبه؛ ليفرقوا بينه وبين أبيه[2]، فكانت قسوة القلب صفة بارزة لأبناء يعقوب، وحتىٰ من تحرك الضمير في داخله منهم لم يخل قلبه من تلك الصفة، فنراه–وقد استعظم القتل–يقترح عليهم اقتراحا آخر، لا يقل جرمـًا، فيقول: ﴿ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾ (يوسف:١٠) فهو يقترح حلاً يريحهم من يوسف، ويخلي لهم وجه أبيهم، ولكنه لا يقتل يوسف، ولا يلقيه في أرض مهجورة يغلب فيها الهلاك. إنما يلقيه في الجب علىٰ طريق القوافل، حيث يرجح أن تعثر عليه إحدىٰ القوافل فتنقذه وتذهب به بعيداً. يقول العلامة الألوسي: «ولعمري لقد ذكروا أمرين مرين؛ فإن الغربة كربة أية كربة»[3].

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (١٨/ ٤٢٣).

(٢) يُنظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني (٣/ ١٣).

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي (٦/ ٣٨٣).

الصفة السادسة: الافتراء[1]، فهي نفس تفتري علىٰ الناس، وترميهم بما ليس فيهم من الباطل والبهتان، وقد ظهرت هذه الصفة عندما وضع يوسف عليه السلام السقاية في رحل أخيه؛ ليأخذه، فقالوا: ﴿ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ (يوسف:٧٧) لقد أرادوا أن يتنصلوا من تهمة السرقة، وينفوها عنهم، ويلقوها علىٰ يوسف وأخيه، فقالوا: ﴿ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ يقول الإمام القرطبي: «وإنما قالوا ذلك ليبرؤوا من فعله؛ لأنه ليس من أمهم، وأنه إن سرق فقد جذبه عرق أخيه السارق؛ لأن الاشتراك في الأنساب يشاكل في الأخلاق»[2].

الأثر السيئ لهذه الصفات علىٰ الفرد والمجتمع:

لقد تبين لنا من خلال الآيات، واستعراض الصفات السابقة الأثر السيئ لهذه النفس وصفاتها علىٰ يوسف عليه السلام فقد دفع الحسد الإخوة إلىٰ المكر والخداع بأخيهم وأبيهم، وقادت الغيرة الإخوة إلىٰ محاولة قتل أخيهم، أو تغريبه والتفريق بينه وبين أبيه، وإلقائه في الجب، والزج به في ذل العبودية.

هكذا كان تأثير الغيرة علىٰ إخوة يوسف عليه السلام وقد نشؤوا في بيئتهم الدينية، وهم أولاد نبي الله يعقوب فكيف بمن هو دونهم؟! «وهكذا النفوس عند ما تسيطر عليها الأحقاد، وتقوىٰ فيها رذيلة الحسد، تفقد تقديرها الصحيح للأمور، وتحاول التخلص ممن يزاحمها بالقضاء عليه،

---

(١) الافتراء: أخص من الكذب؛ لأنه في حق الغير بما لا يرتضيه، بخلاف الكذب فإنه قد يكون في حق المتكلم نفسه، ولذا يقال لمن قال: (فعلت كذا ولم أفعل كذا) مع عدم صدقه في ذلك: هو كاذب، ولا يقال: هو مفتر، وكذا من مدح أحدا بما ليس فيه، يقال: إنه كاذب في وصفه، ولا يقال: هو مفتر، لان في ذلك مما يرتضيه المقول فيه غالبا. معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري (١/ ٤٥٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي (٩/ ٩٣٩).

وتصور الصغائر في صورة الكبائر، والكبائر في صورة الصغائر، فإخوة يوسف هنا يرون أن محبة أبيهم لأخيهم جرم عظيم، يستحق إزهاق روح الأخ، وفي الوقت نفسه يرون أن هذا الإزهاق للروح البريئة شيء هين، في الإمكان أن يعودوا بعده قوما صالحين»[1]. يقول الإمام الرازي: «قولهم: ﴿ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا ﴾ (يوسف:٨) محض الحسد. والحسد من أمهات الكبائر، لا سيما وقد أقدموا علىٰ الكذب؛ بسبب ذلك الحسد، وعلىٰ تضييع ذلك الأخ الصالح وإلقائه في ذل العبودية، وتبعيده عن الأب المشفق، وألقوا أباهم في الحزن الدائم والأسف العظيم، وأقدموا علىٰ الكذب فما بقيت خصلة مذمومة ولا طريقة في الشر والفساد إلا وقد أتوا بها»[2].

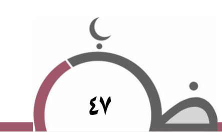
وبسبب الحقد والحسد وقعت أولىٰ جرائم أبناء آدم علىٰ الأرض، عندما قتل قابيل أخاه هابيل؛ وذلك أن حواء كانت تلد في كل بطن ذكرا وأنثىٰ، وكان آدم ﷺ يزوج ذكر هذا البطن أنثىٰ ذلك البطن الآخر، ولا يحل للذكر نكاح توأمته: فولد مع قابيل أختا جميلة، وولد مع هابيل أختا دون ذلك، فأبىٰ قابيل إلا أن يتزوج توأمته لا توأمة هابيل، وأن يخالف سنة النكاح ونازع قابيل هابيلاً في ذلك، فاتفقا علىٰ أن يقدما قربانا – فأيهما قبل قربانه تزوجها، فتقبل من أحدهما – وهو هابيل – ولم يتقبل من الآخر – وهو قابيل – وكانت علامة التقبل أن تأكل نار نازلة من السماء القربان المتقبل، وتترك غير المتقبل، فقتله بغيا عليه وحسدا له، فيما وهبه الله من النعمة، وتقبل القربان الذي أخلص فيه لله ﷻ ففاز المقتول بوضع الآثام والدخول إلىٰ الجنة، وخاب القاتل ورجع بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة[3].

---

(١) يُنظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (٧/ ٣٢٤).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (١٨/ ٤٢٤).

(٣) يُنظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ٨٢).



وكما كان لهذه الصفات أثر سيّء على الفرد، فإن لها كذلك أثراً سيئًا على المجتمع، فالغيرة والحسد من أعظم الأسباب التي تحمل على الصد عن الحق، ومن أوضح الأمثلة على ذلك موقف إبليس اللعين من قضية السجود لآدم عليه السلام فقد منعته الغيرة من آدم عليه السلام عن اتباع الحق، وحمله الحسد على مخالفة أمر الله عز وجل وعندما سأله رب العزة عن سبب إعراضه عن السجود، تعلل بأنَّه خير وأفضل من آدم عليه السلام قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ (الأعراف: ١٢) فما كفر اللعين، ولُعن وطُرد من رحمة الله - تعالى - إلا بسبب غيرته من آدم وتعاليه وتكبره عليه.

كما كان لهذه الصفات أثر سيئ في حمل كفار قريش على محاربة النبي ﷺ والكفر بآيات الله، والصد عن سبيله، فهذا أبو جهل يقول: «زحمتنا بنو عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان، قالوا منا نبي يوحى إليه، فمن يدرك هذا؟! والله لا نؤمن به، ولا نتبعه أبدًا، أو يأتينا وحي كما يأتيه»[1]، والوليد بن المغيرة يقول لرسول الله ﷺ: «والله لو كانت النبوة حقًا لكنت أولى بها منك لأني أكبر منك سنا وأكثر منك مالا، فأنزل الله هذه الآية»[2].

النموذج الثاني: امرأة العزيز وصواحبها:

النموذج الثاني الذي عرضته السورة للنفس الأمارة بالسوء هو النفس الشهوانية، والمثال

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٧)، ويُنظر: الكشف والبيان، للثعلبي (٤/ ١٨٧)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٢/ ١٥٧)، الكشاف، للزمخشري (٢/ ٦٣)، زاد المسير، لابن الجوزي (٢/ ٧٤)، مفاتيح الغيب، للرازي (١٣/ ١٣٤).

(٢) الكشف والبيان، للثعلبي (٤/ ١٨٧)، ويُنظر: معالم التنزيل، للبغوي (٢/ ١٥٧)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٦٣)، زاد المسير، لابن الجوزي (٢/ ٧٥).

والآية هي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٤).

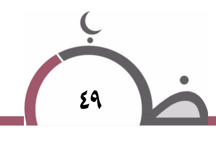
علىٰ ذلك امرأة العزيز وصواحبها، تلك النسوة اللاتي تركن أنفسهن لغرائزهن وشهواتهن، فلم يمنعهن الحسب والأسر الراقية التي ينتمين إليها من التدني في مستنقع الرذيلة.

الآيات التي عرضت لهذا النموذج:

يخبر المولىٰ - سبحانه - عما جرىٰ ليوسف ﷺ في منزل العزيز، فيقول سبحانه: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ (يوسف:٢٣) لقد أحبت امرأة العزيز يوسف ﷺ، حبًا شديدًا، فدعته إلىٰ نفسها بعد أن تجملت وتزينت، وغلَّقت عليه الأبواب وقالت: هيت لك[1].

ولكنَّ يوسف ﷺ امتنع من ذلك أشد الامتناع، فقال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (يوسف:٢٣) أستعيذ بالله أن أفعل هذا الفعل القبيح الذي يجلب سخط الله ﷻ ثم ذكَّر المرأة بأن زوجها قد أحسن إليه، وأكرم مثواه، وأنه لن يقابل إحسانه بارتكاب الفاحشة في أهله «فجعل الموانع له من هذا الفعل: تقوىٰ الله، ومراعاة حق سيده الذي أكرمه،

(١) هيَّتَ به: صاحَ، ودَعاه. وهَيْت لك، مُثَلَّثَةَ الآخِرِ، وقد يُكْسَرُ أَوَّلُه؛ أي: هَلُمَّ. وهِيتُ، بالكسر: د بالعراقِ. وهَاتِ، بكسر التاء: أَعْطِنِي. والهِيتُ: الغامِضُ من الأرضِ. القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مادة (هيت) (١/ ١٦٣). واختلف في أصل هذه الكلمة: ﴿هَيۡتَ لَكَۚ﴾ أهي عربية أم غير عربية؟ وتعددت القراءات حيث وصلت إلىٰ تسع قراءات، وكل ما ذكر من معاني يعود إلىٰ ما يلي: أنها اسم فعل بمعنىٰ: هلم، وأقبل، وأسرع، وذكر البقاعي رأي في ذلك: «وقالت هيت لك: أي تهيأت وتصنعت، (لك) خاصة فأقبل إليَّ، وامتثل أمري». يُنظر: جامع البيان، للطبري (١٦/ ٢٤-٣١)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١٠/ ٦٠)، وقال الزجاج عن القراءة المشهورة: ﴿هَيۡتَ لَكَۚ﴾ «وهي أجود اللغات وأكثرها في كلام العرب، ومعناه هلم لك، أي أقبل علىٰ ما أدعوك إليه». يُنظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٠).



وصيانة نفسه عن الظلم الذي لا يفلح من تعاطاه»[1].

«والمتأمل في هذه الآية الكريمة يرى أن القرآن الكريم قد قابل دواعي الغواية الثلاث التي جاهرت بها امرأة العزيز والمتمثلة في المراودة، وتغليق الأبواب، وقولها: ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ بدواعي العفاف الثلاث التي رد بها عليها يوسف، والمتمثلة في قوله - كما حكى القرآن عنه -: ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (يوسف:٢٣) وذلك ليثبت أن الاعتصام بالعفاف والشرف والأمانة، كان سلاح يوسف عليه السلام في تلك المعركة العنيفة بين نداء العقل ونداء الشهوة...»[2].

﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ (يوسف:٢٤)، والمعنى: لقد عزمت امرأة العزيز عزمًا جازمًا على أن ترتكب الفاحشة مع يوسف عليه السلام، ومال إليها ميلا سريعًا بما لا يعدو أن يكون خاطر قلب سرعان ما زال. يقول الحافظ ابن كثير: «المراد بهمه بها خطرات حديث النفس. حكاه البغوي عن بعض أهل التحقيق»[3]، فيوسف عليه السلام بمقتضى طبيعته البشرية - مال إليها ميلا سريعًا، ولكنَّ الله تعالى

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص٣٩٦).

(٢) التفسير الوسيط، لطنطاوي (٧/ ٣٤٠).

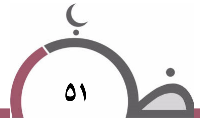
(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٣٢٧)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٢/ ٤٨٤).
اختلفت أقوال الناس وعباراتهم في هذا المقام، وهذا الذي اختاره ابن كثير والبغوي هو الراجح عند كثير من المفسرين. يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي: «وقد أجمع العلماء على أن همّ امرأة العزيز بيوسف كان هما بمعصية، وكان مقرونا بالعزم والجزم والقصد، بدليل المراودة وتغليق الأبواب، وقولها: هيت لك: كما أجمعوا على أن يوسف عليه السلام لم يأت بفاحشة، وأن همه كان مجرد خاطرة قلب بمقتضى الطبيعة البشرية: من غير جزم وعزم...وهذا اللون من الهم لا يدخل تحت التكليف، ولا يخل بمقام النبوّة، كالصائم يرى الماء البارد في اليوم الشديد الحرارة، فتميل نفسه إليه، ولكن دينه يمنعه من الشرب منه، فلا يؤاخذ بهذا الميل... وهذا هو الرأي الذي نختاره=

=في تفسير هذه الآية الكريمة، وقد استخلصناه من أقوال المفسرين القدامىٰ والمحدثين». التفسير الوسيط، لطنطاوي (٧/ ٣٤١)، ويقول الشيخ السعدي: «فصبر عن معصية الله، مع وجود الداعي القوي فيه؛ لأنه قد هم فيها هما تركه لله، وقدم مراد الله علىٰ مراد النفس الأمارة بالسوء». تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٣٩٦).

وإلىٰ جانب هذا القول يوجد قولان كلاهما علىٰ طرفي النقيض:

القول الأول: أن يوسف عليه السلام هم بها من جنس ما همت به، وينسب أصحاب هذا القول إلىٰ يوسف عليه السلام ما لا يليق بالصالحين، فضلا عن عما يليق بالأنبياء والمرسلين، بل ما لا يجوز نسبته لآحاد الفساق، ومن ذلك ما ذكروه أنه عليه السلام حل سراويله، وجلس منها مجلس الرجل من المرأة، حتىٰ رأىٰ صورة يعقوب عليه السلام عاضاً علىٰ يديه. وهذا كلام مردود؛ لأنه يطعن في العصمة، ومقام الرسالة، بل إنه يتنافىٰ مع الولاية والصلاح، فكيف بالنبوة؟! وما ذكروا في ذلك آية يُحتج بها من كتاب الله، ولا خبراً صحيحاً يُعول عليه. وإنما هو مما نقل من خرافات وأباطيل اليهود الذين يحرفون الكلم عن مواضعه؛ ولذا أنكره جمهور المفسرين. يُنظر: مفاتيح الغيب، للرازي (١٨/ ٤٣٩)، المحرر الوجيز، لابن عطية (٣/ ٢٣٣-٢٣٥)، روح المعاني، للألوسي (٦/ ٤٠٤ -٤٠٨).

القول الثاني: إن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم البتة، وفي الكلام تقديم وتأخير. والتقدير: لولا أن رأىٰ برهان ربه لهم بها. فوجود الهم علىٰ تقدير انتفاء رؤية البرهان، لكنه وجد رؤية البرهان، فانتفىٰ الهم. وعلىٰ ذلك فلم يقع من يوسف عليه السلام أي نوع من أنواع الهم، بل لم يقع منه حتىٰ الخاطر النفسي. يقول أبو السعود: «وفي قوله - تعالىٰ - لنصرف عنه...إلخ آية بينة، وحجة قاطعة علىٰ أنه عليه السلام لم يقع منه هم بالمعصية، ولا توجه إليها قط، وإلا لقيل: لنصرفه عن السوء والفحشاء. وإنما توجه إليه ذلك من خارج، فصرفه الله - تعالىٰ - بما فيه من موجبات العفة والعصمة. فتأمل «تفسير أبي السعود». إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٢٦٧)، وإلىٰ ذلك ذهب أبو حيان في البحر المحيط في التفسير (٦/ ٢٥٧)، وابن عاشور في التحرير والتنوير (١٢/ ٢٥٢)، وأيده الشنقيطي، وقال: «إنه الأوفق بقواعد اللغة؛ لأن الغالب في القرآن وفي كلام العرب: أن=



عصمه من إجابة طلب المرأة؛ بما أودع فيه سبحانه من خشيته، وبما شاهده من الأدلة التي تدل علىٰ قبح هذه المعصية[1] فحال سبحانه بينه وبين هذه المعصية، وصرفه عنها صرفا كليًا، وجعله

=الجواب المحذوف يذكر قبله ما يدل عليه، كقوله: ﴿ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ (يونس:٨٤) أي: إن كنتم مسلمين فتوكلوا عليه، فالأول: دليل الجواب المحذوف لا نفس الجواب؛ لأن جواب الشروط، وجواب (لولا) لا يتقدم..ونظير ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ (القصص:١٠)، فما قبل (لولا) دليل الجواب، أي: لولا أن ربطنا علىٰ قلبها لكادت تبدي به». أضواء البيان، للشنقيطي (٢/ ٢٠٨).

وهذا القول وإن كان له وجاهته، لكنَّه مبالغ في التركيز علىٰ جانب العصمة دون اعتبار للجانب البشري في يوسف عليه السلام وما يثاب عليه المرء من مجاهدة النفس. وأما ما ذهب إليه ابن كثير والبغوي وكثير من المفسرين، فإنه يقوم علىٰ التوازن بين عدم الإخلال بمقام العصمة – لعدم الوقوع في الذنب أصلاً – وبين الطبيعة البشرية، والميول والرغبات النفسية، التي لم يصحبها عمل. وهذا الأمر ليس منكراً شرعـًا، ولا معصية فيه؛ لأنه أمر جبلي، لا يتعلق به التكليف. فقد أخرج الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: (قَالَ اللهُ عز وجل: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِحَسَنَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبْتُهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَىٰ سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ أَكْتُبْهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا سَيِّئَةً وَاحِدَةً). أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد باب: قوله تعالىٰ: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ (الفتح:١٥) (٩/ ١٤٤)، رقم (٧٥٠١)، والإمام مسلم في مقدمة صحيحه، بَاب: إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم كتاب (١/ ١١٧)، رقم (٢٠٤) واللفظ لمسلم. وقد ذهب إلىٰ هذا القول ابن تيمية في (منهاج السنة النبوية في الرد علىٰ الشيعة والقدرية) (٢/ ٤١٢)، وقد جوز الشنقيطي هذا القول، مع تأييده القول السابق. أضواء البيان (٢/ ٢٢١).

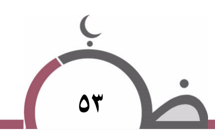
(١) اختلفت أقوال المفسرين في البرهان الذي رآه يوسف عليه السلام فعن ابن عباس وسعيد ومجاهد=

يفر هاربًا طالبًا النجاة مما تريده منه تلك المرأة؛ وذلك لسلامة قلبه، وبعده عن الفحشاء؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ (يوسف:٢٤) وهو تعليل لما أراد الله بهذا النبي الكريم من خير، فصرف عنه السوء والفحشاء؛ لأنه من عباد الله الذين اصطفاهم الله، وجعلهم مخلصين له. يقول الحافظ ابن كثير: «وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ ﴾ (يوسف:٢٤) أي كما أريناه برهانا صرفه عما كان فيه، كذلك نقيه السوء والفحشاء في جميع أموره: إنه من عبادنا المخلصين أي من المجتبين المطهرين المختارين المصطفين الأخيار، صلوات الله وسلامه عليه»[1].

ثم أخبر ﷻ عن حال يوسف عليه السلام وامرأة العزيز بعد أن رفض طلبها، فقال سبحانه: ﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا

=وغيرهما: رأىٰ صورة أبيه يعقوب عليه السلام عاضًا علىٰ أصبعه بفمه. وقيل: فضرب في صدر يوسف عليه السلام. وعن ابن عباس أيضا: رأىٰ خيال الملك يعني سيده، وعن محمد بن كعب القرظي: قال رفع يوسف رأسه إلىٰ سقف البيت، فإذا كتاب في حائط البيت ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴾ (الإسراء: ٣٢)، وعن أبي صخر، قال: سمعت القرظي يقول: في البرهان الذي رآه يوسف ثلاث آيات من كتاب الله ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴾ (الانفطار: ١٠) ...الآية، وقوله: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ ﴾ (يونس: ٦١) ...الآية، وقوله: ﴿ أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ ﴾ (الرعد: ٣٣)، وقال الأوزاعي: رأىٰ آية من كتاب الله في الجدار تنهاه عن ذلك. قال ابن جرير: «والصواب أن يقال: إنه رأىٰ آية من آيات الله تزجره عما كان هم به، وجائز أن يكون صورة يعقوب، وجائز أن يكون صورة الملك، وجائز أن يكون ما رآه مكتوبًا من الزجر عن ذلك، ولا حجة قاطعة علىٰ تعيين شيء من ذلك، فالصواب أن يطلق كما قال الله تعالىٰ..». جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير (١٦/ ٣٩)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٣٢٧).

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٣٢٨).



إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ (يوسف:٢٥) أمام إصرار المرأة علىٰ ارتكاب الفاحشة، وامتناع يوسف عليه السلام عن إجابة طلبها أسرع عليه السلام إلىٰ الباب قاصدًا الخروج، هاربًا من الفاحشة، وهي أسرعت خلفه لتمنعه من الوصول إلىٰ الباب ومن الخروج منه، واستمرت في طلبه، وتعلقت بثوبه، حتىٰ شقت قميصه، فما أن وصلا إلىٰ الباب، حتىٰ وجدا زوجها لدىٰ الباب، فبادرت إلىٰ الكذب، وقالت بمكر وكيد: ما جزاء من أراد الفاحشة بأهلك إلا السجن أو العذاب الشديد.

﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (يوسف:٢٦-٢٧)، وأمام هذا الاتهام الباطل يقف يوسف عليه السلام مدافعا عن نفسه، مبرأ لها مما رمته المرأة، فقال: ﴿ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ ﴾ هي التي دعتني إلىٰ ارتكاب ما لا يليق، وهي التي بالغت في إغرائي.

وهنا وفي هذه اللحظة الحرجة قيض الله – تعالىٰ – ليوسف عليه السلام من يشهد ببراءته، فقال هذا الشاهد: إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ من الأمام فإنها صادقة في دعواها أنه أراد بها سوءا؛ لأن ذلك يدل علىٰ أنها دافعته من الأمام، وهو يريد الاعتداء عليها، وهو من الكاذبين في ادعائه أنها هي التي راودته عن نفسه، وَإِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنَ الخلف فهي الكاذبة في دعواها أنه أراد بها سوءا، لأن ذلك يدل علىٰ أنه حاول الهرب منها، فتعقبته حتىٰ الباب، وأمسكت به من الخلف، وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ في دعواه أنها راودته عن نفسه. «وألقىٰ الله – تعالىٰ – هذه الشهادة علىٰ لسان من هو من أهلها، لتكون أوجب للحجة عليها، وأوثق لبراءة يوسف، وأنفىٰ للتهمة عنه»[1].

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٤٥٩).

وقد اختلفوا في هذا الشاهد: هل هو صغير أو كبير؟ علىٰ قولين لعلماء السلف، فقيل: إنه كان كبيراً ذا لحية، وأنه كان من خاصة الملك. وقيل: كان ابن عمها. وقيل: إنه كان صبيا في المهد. واختاره ابن جرير (١٦/ ٥٤)، ورجحه ابن كثير (٤/ ٣٨٣). ويؤيده ما رواه أحمد والحاكم في المستدرك=

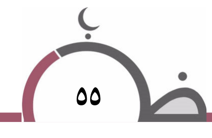
﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۝٢٨ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴾ (يوسف:٢٨ - ٢٩) فلما تحقق العزيز من صدق يوسف ﷺ وكذب امرأته، وجه كلامه إليها قائلاً: إن اتهام يوسف بما هو بريء منه، إنما هو نوع من الكيد والمكر، ثم أمر يوسف ﷺ أن يعرض عن هذا الأمر، وأن يكتم ما دار بينه وبين زوجته، وألا يتحدث به خوفا من الفضيحة، وحفاظا على كرامته وكرامتها، وفي النهاية طلب من امرأته أن تستغفر من وقعت فيه؛ لأنها أصبحت بهذا الذنب من الخاطئين.

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (يوسف:٣٠) بعد أن انتشر خبر المرأة مع يوسف ﷺ وشاع في مدينة مصر، تحدثت النسوة، وتعجبن من صنيع امرأة العزيز، صاحبة المكانة العالية، والمنزلة الرفيعة، التي انقادت لهواها، وخرجت عن العفة، حتى إنها تراود فتاها عن نفسه، وتطلب منه الفاحشة من دون خجل أو حياء، وأنكرن أن يتمكن حبه من قلبها، ووصفن فعلها هذا بالضلال الواضح والخطأ البين.

وقد ذكر ابن القيم ﷺ السر في تعبير النسوة بـ ﴿ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ﴾ دون ذكر اسمها، من وجهين: «أحدها: قولهن: امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاها ولم يسموها باسمها، بل ذكروها بالوصف الذي ينادي عليها بقبيح فعلها بكونها ذات بعل، فصدور الفاحشة من ذات الزوج أقبح من صدورها ممن لا زوج لها. الثاني: أن زوجها عزيز مصر، ورئيسها، وكبيرها. وذلك أقبح لوقوع الفاحشة منها»[1].

=عن ابن عَبَّاسٍ: (تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ صِغَارٌ: عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَابْنُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ). أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣٢)، رقم (٢٨٢١)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، سورة التحريم (٢/ ٥٣٨)، رقم (٣٨٣٥). والأثر صححه الحاكم وحسنه شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند.

(١) تفسير القرآن الكريم، لابن القيم (ص٣٢٧).



﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ (يوسف:٣١) لما سمعت امرأة العزيز بما تتحدث به النسوة عنها، قابلت مكرهن بمكر أشد، فأرسلت إلىٰ أولئك النسوة ودعتهن إلىٰ الحضور إليها، وهيأت لهن في مجلس طعامها، وأمرت يوسف عليه السلام أن يخرج عليهن، «وهي ترمي من وراء خروجه عليهن إلىٰ اطلاعهن عليه حتىٰ يعذرنها في حبها له»[١]، فما أن خرج عليهن ورأينه حتىٰ أعظمنه، وأدهشهن حسنه وجماله، وفتن به، وانشغلن بجماله، حتىٰ جرحن أيديهن بالسكاكين التي في أيديهن دون أن يشعرن بذلك، وتعجبن من جماله الفائق، واستبعدن أن يكون ذلك جمال بشر، إنما هو جمال ملك كريم «ووصفوه بذلك بناء علىٰ ما ركز في الطباع من تشبيه ما هو مفرط في الجمال والعفة بالملك، وتشبيه ما هو شديد القبح والسوء بالشيطان»[٢].

﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴾ (يوسف:٣٢) شعرت امرأة العزيز بانتصارها علىٰ النسوة اللائي لمنها في حبها ليوسف عليه السلام، فقالت لهن – علىٰ سبيل التباهي والتشفي ودون حياء: ذلك الذي لمتنني في حبي له، وقلتن ما قلتن في شأني! فالآن ماذا تقلن بعد رؤيته، ومشاهدة جماله وبهائه؟ ثم أقرت أنها حاولت معه بشتىٰ المغريات، ولكنه أبىٰ وأعرض عنها، ومع ذلك هي مصرة غاية الإصرار علىٰ ارتكاب الفاحشة معه، وتوعدته – إن لم يفعل ما تأمره به – بالسجن والإهانة.

صفات هذه النفس كما وردت في الآيات الكريمة:

عندما نتدبر الآيات الكريمة التي عرضت لامرأة العزيز وصواحبها، نجد أنفسنا أمام

(١) التفسير الوسيط، لطنطاوي (٧/ ٣٥٣).

(٢) المرجع السابق (٧/ ٣٥٤).

نموذج هابط للنفس البشرية، نموذج تَمَلَّكته الشهوة، وأعمته الرذيلة، ونزع منه الحياء، فلم يعبأ بالقيم، ولا التقاليد، ولا المكانة الاجتماعية. وقد عرضت الآيات الكريمة جملة من صفات هذه النفس الأمارة بالسوء، والتي نستطيع أن نصفها – بمجمل هذه الصفات – بالنفس الشهوانية.

الصفة الأولىٰ: التجرؤ علىٰ الرذيلة، والإصرار علىٰ الفاحشة والخيانة، وقد بدت لنا هذه الصفة في مشاهد عديدة من مشاهد القصة:

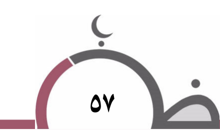
المشهد الأول: في قوله تعالىٰ: ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ ﴾ (يوسف:٢٣) فالمرأة قامت بكل شيء بنفسها، وأعدت كل شيء بنفسها، وكررت المحاولة أكثر من مرة، في تجرؤ عجيب، وإصرار غريب علىٰ ارتكاب الفاحشة، «والتعبير عن حالها معه بالمراودة المقتضية لتكرار المحاولة؛ للإشعار بأنها كان منها الطلب المستمر، المصحوب بالإغراء والترفق والتحايل علىٰ ما تشتهيه منه بشتىٰ الوسائل والحيل»[1].

المشهد الثاني: في قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ ﴾ (يوسف:٢٥).

المشهد الثالث: في قولها لصواحبها: ﴿ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ (يوسف:٣٢) فهي لم تنفِ كلام النسوة، بل زادت الفتنة فتنة، أنها عرضته علىٰ نسوة أخر وكأنها تعلن أمامهن في تبجح المرأة من ذلك الوسط، ولا ترىٰ بأسا من الجهر بنزواتها الأنثوية جاهرة مكشوفة في معرض النساء.

الصفة الثّانية: تجردها من الحياء، وقد دل علىٰ هذه الصفة قول الله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ ﴾ (يوسف:٢٣)، «وهذه الدعوة السافرة منها له، تدل علىٰ أن تلك المرأة كانت قد بلغت النهاية في الكشف عن رغبتها، وأنها قد خرجت عن المألوف من بنات جنسها، فقد جرت العادة

(١) التفسير الوسيط، لطنطاوي (٧/ ٣٣٨).



أن تكون المرأة مطلوبة لا طالبة»[١].

فهي حريصة كل الحرص علىٰ ارتكاب الفاحشة، مهما كلفها ذلك، من الانحطاط والتخلي عن كرامة المرأة وكبريائها. يقول الدكتور عبد الكريم الخطيب: «وفي قوله تعالىٰ: ﴿ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ إشارة إلىٰ أنها هي التي تولت بنفسها الإعداد لهذا الأمر الذي دعته إليه.. فهي التي راودته عن نفسه بما ألقت إليه من كلمات، وإشارات، وتلميحات...وهي التي غلقت الأبواب، فكانت تلك دعوة صريحة منها إليه... ثم هي التي - حين رأت أن ذلك كله لم يدعه إليها، ولم يقرّ به منها - دعته إلىٰ نفسها، وقالت: أي هأنذا لك، فأقبل! وهذا ما لا تفعله الحرّة ذات الجاه والسلطان، إلا إذا كانت قد استبدّت بها الرغبة، ثم لم تجد من الجانب الآخر استجابة منه لها...عندئذ تخلع عذار حيائها، وتتخلّىٰ عن مكانتها كامرأة تطلب ولا تطلب!»[٢].

الصفة الثالثة: المكر، وقد ظهرت هذه الصفة عندما دعت امرأة العزيز صواحبها وأمرت يوسف أن يخرج عليهن بعد ما سمعت بمكرهن «هيأت لهن مكرا أبلغ منه، فهيأت لهن متكأ، ثم أرسلت إليهن، فجمعتهن، وخبأت يوسف عليه السلام عنهن، وأخرجته عليهن فجأة، فلم يرعهنّ إلا وأحسن خلق الله وأجمله قد طلع عليهن بغتة، فراعهن ذلك المنظر البهي. وفي أيديهن مدىٰ يقطعن بها ما يأكلن، فدهش حتىٰ قطعن أيديهن، وهن لا يشعرن»[٣]، وقد كان لهذا الفعل أثره علىٰ النسوة ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ (يوسف:٣١) فلم تعد امرأة العزيز وحدها تراوده ولكن عادت نسوة تلك الطبقة بجملتها تطارده

(١) التفسير الوسيط، لطنطاوي (٧/ ٣٤١).

(٢) التفسير القرآني للقرآن، د.عبد الكريم الخطيب (٦/ ١٢٥٣).

(٣) تفسير القرآن الكريم، لابن القيم (ص٣٢٩).

فكانت سبب لانتشار الفاحشة في المجتمع، وهذا كله يعود إلىٰ أنانيتها ومكرها وحرصها علىٰ مواراة الفضيحة التي لحقت بها.

الصفة الرابعة: الكذب والافتراء، فمن صفات هذه النفس أنها كاذبة، مخادعة تفتري علىٰ الناس، وتلصق التهم بالأبرياء وقد بدا لنا ذلك في موقف امرأة العزيز عندما تفاجأت بزوجها لدىٰ الباب، وقالت: ﴿ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا ﴾ (يوسف:٢٥) هكذا تفتري علىٰ يوسف عليه السلام وتلصق به التهمة، وكأن يوسف هو الذي راودها عن نفسها.[1]

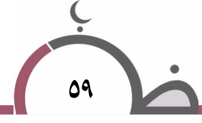
الصفة الخامسة: الحقد والانتقام، وقد دل علىٰ هذه الصفة قول المرأة لزوجها عندما ألفته لدىٰ الباب: ﴿ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ (يوسف:٢٥) كما دل علىٰ هذه الصفة كذلك: قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾ (يوسف:٣٥) فقد دفعها حقدها علىٰ يوسف عليه السلام والانتقام منه إلىٰ الزج به في السجن - مع علمها بعلمه ومهارته - فحرمت المجتمع من علمه وحكمته التي ظهر أثرها بعد خروجه من السجن.

بيان الأثر السيئ لهذه الصفات علىٰ الفرد والمجتمع:

لقد تبين لنا من خلال الآيات، واستعراض الصفات السابقة الأثر السيئ لهذه النفس وصفاتها، علىٰ الفرد والمجتمع؛ فأما علىٰ الفرد؛ فقد كان لهذه النفس أثرها السيئ علىٰ يوسف، وعلىٰ امرأة العزيز علىٰ السواء.

فأما أثرها السيئ علىٰ يوسف عليه السلام فواضح أن الشهوة دفعت امرأة العزيز إلىٰ الافتراء علىٰ يوسف والزج به السجن سنين عديدة، وأما أثرها السيئ علىٰ امرأة العزيز فبيانه: أن المرأة كانت صاحبة عز وجاه، فتدنت بنفسها؛ لإرواء غرائزها ونزواتها، فأهانت نفسها، وانحطت كرامتها، وفضحت نفسها وزوجها بين أهلها وقومها.

(١) ينُظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي (٦/ ٤٠٦).

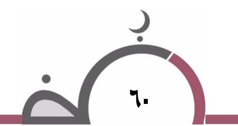


وأما الأثر السيئ لهذه النفس وصفاتها على المجتمع؛ فإن يوسف عليه السلام عندما ألقي في السجن؛ بسبب حقد المرأة وحرصها الانتقام منه، والانتصار لشهوتها وغرائزها - مع علمها بعلمه ومهارته - أدى ذلك إلى حرمان المجتمع من حكمته، والتي ظهر أثرها بعد خروجه من السجن.

كما لا يخفى أثر هذه الصفات السيئة على المجتمع، فإن انتشار الفواحش سبب في هلاك الشعوب والأمم، كما هو شأن قوم لوط، والحضارات القديمة التي هلكت بسبب انتشار الفاحش؛ شأن الحضارة اليونانية والفارسية والرومية، وكذلك فإن انتشار الفاحش سبب لانتشار الأمراض الفتاكة التي لم تكن في الأمم السابقة، كما نراه اليوم من انتشار الإيدز وغيره، من الأمراض التي ظهرت بسبب ارتكاب الفواحش وانتشارها، وقد أخبرنا النبي ﷺ بذلك فقال: (لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّىٰ يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا)[1].

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نلفت الأنظار إلى خطورة الاختلاط بين الرجال بالنساء، وأثره السيئ على المجتمع. وقد أشار إلى ذلك د. محمد سيد طنطاوي فقال: «إن اختلاط الرجال بالنساء كثيرا ما يؤدي إلى الوقوع في الفاحشة؛ وذلك لأن ميل الرجل إلى المرأة، وميل المرأة إلى الرجل أمر طبيعي، وما بالذات لا يتغير. ووجود يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز تحت سقف واحد في سن كانت هي فيه مكتملة الأنوثة، وكان هو فيها فتى شابا جميلا... أدى إلى فتنتها به، وإلى أن تقول له في نهاية الأمر - بعد إغراءات شتى له منها -: (هيت لك). ولا شك أن من الأسباب

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: الفتن، باب: العقوبات (٢/ ١٣٣٢)، رقم (٤٠١٩)، والبزار في مسنده (١٢/ ٣١٥)، رقم (٦١٧٥)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ٥٨٢)، رقم (٦٨٢٣)، وحسنه الألباني في تعليقه على سنن ابن ماجه، وصححه الحاكم.



الأساسية التي جعلتها تقول هذا القول العجيب: وجودهما لفترة طويلة تحت سقف واحد؛ لذا حرَّم الإسلام تحريما قاطعا الخلوة بالأجنبية؛ سداً لباب الوقوع في الفتن، ومنعًا من تهيئة الوسائل للوقوع في الفاحشة. ومن الأحاديث التي وردت في ذلك ما رواه الشيخان عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَىٰ النِّسَاءِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: «الحَمْوُ: المَوْتُ)[1].

***

المبحث الثاني
النفس اللوامة

وهي نوع من أنواع النفس البشرية، وهي النفس التي تلوم صاحبها علىٰ المعاصي والذنوب. وقد أقسم الله تعالىٰ بهذه النفس في قوله سبحانه: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة: ٢).

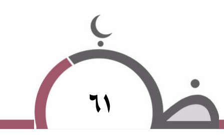
وقد عرضت السورة أنموذجين لهذه النفس:

النموذج الأول: (إخوة يوسف عليه السلام) عندما ندموا علىٰ ما اقترفوا في حق أخيهم وأبيهم:

فقد تحدثت السورة عن إخوة يوسف عليه السلام حديثا مستفيضا، تبدو فيه غيرتهم من يوسف عليه السلام، وحسدهم له، وتآمرهم علىٰ حياته، ثم ذكرت السورة في - النهاية - ندمهم علىٰ ما فرط

(١) التفسير الوسيط، لطنطاوي (٧/ ٣٤٨)، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم والدخول علىٰ المغيبة (٧/ ٣٧)، رقم (٥٢٣٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب: السلام، باب: تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها (٤/ ١٧١١)، رقم (٢١٧٢).

والحمو: أبو الزوج وأخوه وكل من وليه من ذوي قراباته. غريب الحديث، لابن الجوزي (١/ ٢٤٥).



منهم في حقه، بعد أن مكَّن الله له في الأرض، وقد ذكرت الآيات الكريمة ذلك في ثلاثة مواضع من السورة الكريمة:

الموضع الأول: لما احتجز يوسف عليه السلام أخاه، وقطع أطماعهم في أخذه، اختلىٰ بعضهم ببعض؛ لينظروا في أمره، تحركت دوافع الندم في قلب واحد منهم[1] فقال – علىٰ سبيل الندم والاعتراف بالذنب –: ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ (يوسف:٨٠).

الموضع الثاني: قولهم ليوسف عليه السلام: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾ (يوسف:٩١)، وهذا غاية في الاعتراف بالجرم الحاصل منهم في حق يوسف عليه السلام، وفيه إشعارٌ بالتوبة، وطلب الاستغفار. يقول القرطبي: «﴿ وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾ أي مذنبين. وفي ضمن هذا سؤال العفو. وقيل لابن عباس: كيف قالوا: ﴿ وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾ وقد تعمدوا لذلك؟ قال: وإن تعمدوا لذلك، فما تعمدوا حتىٰ أخطؤوا الحق. وكذلك كل من أتىٰ ذنبا تخطىٰ المنهاج الذي عليه من الحق، حتىٰ يقع في الشبهة والمعصية»[2].

ولما كان في ضمن حديثهم طلب المغفرة، وكان يوسف عليه السلام كريمـًا، ومن شأن الكريم أن يصفح ويعفو عمن اعترف له بالخطأ، رد عليهم بقوله: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (يوسف:٩٢) هكذا بكل حب ومودة، وسلامة صدر ﴿ لَا تَثْرِيبَ ﴾ أي: لا

---

(١) ولم يذكر القرآن اسم كبيرهم؛ لأنه لا يتعلق بذكره غرض منهم، وقد ذكر بعض المفسرين أن المراد به: روبيل؛ لأنه أسنهم، وذكر بعضهم أنه يهوذا لأنه كبيرهم في العقل. مفاتيح الغيب، للرازي (١٨/ ٤٩٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي (٩/ ٢٥٧).

تعيير ولا توبيخ ولا لوم، ولا إثم عليكم، إنما أدعو الله - تعالىٰ - أن يغفر لكم ما كان منكم في حقي، وهو أرحم الراحمين.

الموضع الثالث: قولهم ليعقوب ﷺ: ﴿ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴾ (يوسف:٩٧). وهذا اعتراف منهم بالجرم علىٰ أجمل الوجوه؛ ولذلك أجابهم يعقوب إلىٰ طلبهم، فقال: ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (يوسف:٩٨)، يقول القرطبي: «وهذا الحكم ثابت فيمن آذىٰ مسلما في نفسه أو ماله أو غير ذلك ظالما له، فإنه يجب عليه أن يتحلل له ويخبره بالمظلمة وقدرها»[١].

النموذج الثاني: امرأة العزيز وصواحبها.

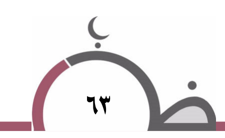
وقد بدا لنا ذلك عندما جمع النسوة اللاتي قطعن أيديهن ومعهن امرأة العزيز، قال مخاطبا لهن جميعـًا: ﴿ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ﴾ (يوسف:٥١) هنا تحركت - في امرأة العزيز والنسوة - بواعث الندم، والاعتراف بالحق، فأعلنَّ براءة يوسف ﷺ مما اتهموه به.

فأما النسوة: فقد بالغن في نفي التهمة عن يوسف ﷺ بقولهن: ﴿ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ ﴾ (يوسف:٥١)، وهذا كالتأكيد لما ذكرن في أول الأمر في حقه، وهو قولهن: ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ (يوسف:٣١)، يقول أبو السعود: «بالغْن في نفي جنس السوءِ عنه بالتنكير وزيادة (من)»[٢]. يقول الزمخشري: «ولا مزيد علىٰ شهادتهن له بالبراءة، والنزاهة، واعترافهن علىٰ أنفسهن، بأنه لم يتعلق بشيء مما قرفنه به؛ لأنهن خصومه، وإذا اعترف الخصم بأن صاحبه علىٰ الحق، وهو علىٰ الباطل، لم يبق لأحد مقال»[٣].

(١) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي (٩/ ٢٦٢).

(٢) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٤/ ٢٨٤).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٤٧٩).



وأما امرأة العزيز: فقد أقرت بخطئها، وأظهرت ندمها، وأعلنت براءة يوسف عليه السلام مما وصفته به من قبل، وذلك من عدة أوجه:

الوجه الأول: أنها اعترفت بذنبها، وأقرت بصدق يوسف عليه السلام في نفي التهمة عن نفسه، فقالت: ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (يوسف:٥١)، وهذه شهادة جازمة من تلك المرأة بأن يوسف عليه السلام كان مبرأ عن كل الذنوب مطهرا عن جميع العيوب.

«وهاهنا دقيقة، وهي أن يوسف عليه السلام راعىٰ جانب امرأة العزيز حيث قال: ﴿ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ ﴾ (يوسف:٥٠)؛ فذكرهن ولم يذكر تلك المرأة البتة، فعرفت المرأة أنه إنما ترك ذكرها رعاية لحقها وتعظيما لجانبها وإخفاء للأمر عليها، فأرادت أن تكافئه علىٰ هذا الفعل الحسن، فلا جرم أزالت الغطاء والوطاء واعترفت بأن الذنب كله كان من جانبها وأن يوسف عليه السلام كان مبرأ عن الكل»[1].

الوجه الثاني: قولها: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ (يوسف:٥٢)، وذلك علىٰ الرأي الذي يقول: إن هذا الكلام هو من كلام امرأة العزيز[2]، وذلك الكلام يحتمل من التفسير وجهين: الأول

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (١٨/ ٤٦٨).

(٢) اختلف المفسرون في أن قوله: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾.كلام من؟ القول الأول: أنه كلام امرأة العزيز. قال القرطبي: «إذا احتُمل أن يكون من قول المرأة فالقول به أولىٰ، حتىٰ نبرئ يوسف من حل الإزار والسراويل، وإذا قدرناه من قول يوسف فيكون مما خطر بقلبه،...وقال الحسن: لما قال يوسف: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ كره نبي الله أن يكون قد زكىٰ نفسه فقال: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ ﴾ ...لأن تزكية النفس مذمومة، قال الله تعالىٰ: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ ﴾ (النجم:٣٢). الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي (٩/ ٢١٠)، وقال الحافظ ابن كثير: «وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام، وقد حكاه الماوردي في تفسيره، وانتدب لنصره الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية رحمه الله، فأفرده بتصنيف علىٰ حدة». القول الثاني: أنه من كلام=

أن تكون قصدت به زوجها. تقول: إنما اعترفت بهذا علىٰ نفسي؛ ليعلم زوجي أني لم أخنه في نفس الأمر، ولا وقع المحذور الأكبر، وإنما راودت هذا الشاب مراودة، فامتنع؛ فلهذا اعترفت ليعلم أني بريئة. الثاني: أن تكون قصدت به يوسف ؛ أي: ليعلم يوسف أني وإن أذنبت في حقه عند حضوره، لكني لم أذنب في حقه عند غيبته، فلم أقل فيه وهو في السجن خلاف الحق. وعلىٰ كلا الوجهين فهو اعتراف منها بالخطأ، وإقرار ببراءة يوسف [1].

الوجه الثالث: قولها: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾ (يوسف:٥٢)، وذلك مبالغة منها في تأكيد الحق، «يعني لما أقدمت عليه من الكيد والمكر لا جرم افتضحت، وأنه لما كان بريئا عن الذنب لا جرم طهره الله تعالىٰ عنه»[2].

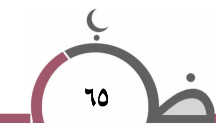
الوجه الرابع: قولها: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ ﴾ (يوسف:٥٣) أي إني مع اعترافي لا أبرئ نفسي، فإن النفس تتحدث وتتمنىٰ، ولهذا راودته. أو تعني: أني ما أبرئ نفسي من الخيانة، فإني قد خنته حين قرفته وقلت: ﴿ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ ﴾ (يوسف:٢٥)، وأودعته السجن. تريد الاعتذار مما كان منها أن كل نفس لأمارة بالسوء، إلا نفسا رحمها الله بالعصمة، كنفس يوسف[3].

=يوسف . قيل: ذلك إشارة إلىٰ ما فعله من رد الرسول؛ كأنه يقول ذلك الذي فعلت من ردي الرسول إنما كان ليعلم الملك أني لم أخن العزيز بالغيبة. قال ابن كثير: «والقول الأول أقوىٰ وأظهر؛ لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك، ولم يكن يوسف عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك». تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٣٩٥).

(١) يُنظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٣٩٤)، محاسن التأويل، للقاسمي (٦/ ١٨٦).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (١٨/ ٤٦٨).

(٣) محاسن التأويل، للقاسمي (٦/ ١٨٦).



أثر هذه النفس علىٰ الفرد والمجتمع.

ليست النّفس اللّوامة التي تلوم صاحبها علىٰ الذنوب والمعاصي، وتحثه علىٰ الاستغفار فحسب، وإنما هي التي تلوم صاحبها علىٰ كل ما يصدر منه من خطأ، وهي التي تحثه علىٰ تصحيح تلك الأخطاء، وهي التي تمد صاحبها بالقوة، وتشحنه بالعزيمة، فتدفعه إلىٰ الاعتراف بالخطأ، وإنصاف الخصم علىٰ أحسن الوجوه؛ ليستكمل الإنسان حياته، وهو يسير في طريق الحق.

ولا شك أن لتلك النفس أثرها في إصلاح الفرد والمجتمع؛ شأن إخوة يوسف الذين أحسنوا التعبير عن خطئهم في حقه، فقالوا: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾ (يوسف:٩١) كما كان حالهم مع أبيهم، حينما أقروا بخطئهم، وأخذوا يعتذرون إليه، ويطلبون منه أن يستغفر لهم ما ارتكبوه من الذنوب، فقالوا: ﴿ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴾ (يوسف:٩٧)؛ فهذا الإقرار منهم، والاعتراف بالخطأ إنما كان بسبب النفس اللوامة التي تحركت بداخلهم، فجعلتهم يقرون بالخطأ، ويعترفون بالمعصية، وقد كان أثر ذلك أن أباهم عفا عنهم، وقبل يوسف عليه السلام عذرهم، وصفح عنهم، فساد الحب والمودة بينهم، واجتمعوا في مصر آمنين.

وكذلك امرأة العزيز وصواحبها لما تحركت بداخلهنَّ بواعث الندم، أعلنَّ براءة يوسف عليه السلام وقد كان أثر ذلك أن خرج يوسف عليه السلام من السجن، وقام علىٰ خزائنها، ووضع الخطة المناسبة التي جنبت مصر والبلاد المجاورة ويلات المجاعة لما ضربت الناس بعد ذلك.

***

المبحث الثالث

النفس المطمئنة

وقد عرضت السورة الكريمة أنموذجين لهذه النفس: الأول يعقوب، والثاني يوسف عليهما السلام.

النموذج الأول: يعقوب عليه السلام: وشخصية يعقوب عليه السلام هي الشخصية المحورية في حياة

يوسف ﷺ، وهي تمثل النموذج المتميز للشخصية الربانية، والنفس المطمئنة، الموصولة بالله – سبحانه –، الشاكرة على العطاء الصابرة على البلاء.

صفات هذه النفس كما عرضتها الآيات:

الصفة الأولى: النصح والإرشاد، فمنذ البدء والآيات تشير إلى أن شخصية يعقوب ﷺ شخصية إرشادية، تهتم بالنصح والإرشاد وتوجيه من حولها إلى ما فيه الخير والصواب، وقد بدا لنا ذلك في مشاهد عديدة من مشاهد القصة.

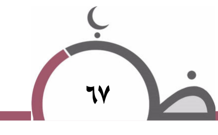
ومن ذلك: إرشاد يعقوب ليوسف ﷺ وتوجهه له حينما قص عليه رؤياه، فقال له: ﴿ قَالَ يَـٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ ﴾ (يوسف:٥ – ٦) فقد أمره ألا يخبر إخوته بالرؤيا؛ خوفا عليه من كيدهم وحسدهم، فحذره خوفاً عليه من أن تغل بذلك صدورهم، فيوقعونه في الهلكة، «وإنما قال له ذلك؛ لأن هذه الرؤيا تدل على أن الله تعالى سيعطى يوسف من فضله عطاء عظيما، ويهبه منصبا جليلا، ومن شأن صاحب النعمة أن يكون محسودا من كثير من الناس، فخاف يعقوب من حسد إخوة يوسف له، إذا ما قص عليهم رؤياه، ومن عدوانهم عليه»[1]. «وفي هذه الآية دليل على أنَّه يجوز للمسلم أن يحذر أخاه المسلم ممن يخافه عليه، ولا يكون داخلا في معنى الغيبة، وأنه يجوز ترك إظهار النعمة عند من تخشى غائلته حسداً وكيداً»[2].

ثم إن يعقوب ﷺ حذر يوسف من إخبار إخوته برؤياه على أجمل وجه، فقد عقب تحذيره بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (يوسف:٥) وهو تعليل للنهي؛ حتى لا يثير في نفسه

---

(١) التفسير الوسيط، لطنطاوي (٧/ ٣١٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي (٩/ ١٢٦، ١٢٧) باختصار.



الكراهة والحقد علىٰ إخوته. يقول الطاهر بن عاشور: "وقول يعقوب عليه السلام هذا لابنه تحذير له مع ثقته بأن التحذير لا يثير في نفسه كراهة لإخوته؛ لأنه وثق منه بكمال العقل، وصفاء السريرة، ومكارم الخلق. ومن كان حاله هكذا كان سمحا، عاذرا، معرضا عن الزلات، عالما بأثر الصبر في رفعة الشأن، ولذلك قال لإخوته: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (يوسف:٩٠)، وقال: ﴿ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (يوسف:٩٢)"[1].

ومن أسلوب يعقوب الحكيم في النصح والإرشاد: أنه بعد أن حذر يوسف من إخبار إخوته برؤياه بشره بما تدل عليه تلك الرؤيا، فقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ (يوسف:٦)، فجمع بذلك بين الخوف علىٰ ابنه، وبشارته له.

ونلحظ أن هذا الجانب في شخصية يعقوب من النصح والتوجيه والإرشاد لم يقصر علىٰ شخص دون شخص، وإنما كان ينصح أبناءه جميعـًا، حتىٰ من أخطأ منهم في حقه. ومن ذلك قوله – وهو يوصيهم ألا يدخلوا مصر من باب واحد وأن يدخلوا من أبواب متفرقة، ويذكرهم بوجوب التوكل علىٰ الله، صاحب الأمر والحكم –: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (يوسف:٦٧)، ومن ذلك أيضا قوله: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ (يوسف:٨٧).

الصفة الثانية: الصبر مع الرضا، فالصبر علىٰ البلاء، والرضا بقضاء الله – تعالىٰ – وقدره كانت سمة بارزة، وصفة واضحة من صفات يعقوب عليه السلام وقد ظهرت هذه الصفة في شخصية يعقوب عليه السلام في مشاهد عديدة من مشاهد القصة:

---

(١) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٢/ ٢١٤).

فنراه في مواجهة الصدمة الأولىٰ عند فراق يوسف عليه السلام يتوجه إلىٰ ربه مستعينا بالصبر، قائلاً: ﴿ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ ﴾ والصبر الجميل هو الذي لا جزع فيه ولا شكوىٰ؛ أي: ألجأ في ذلك بصبر جميل لا يأس فيه، ولا يصحبه تسخط ولا جزع، ولا شكوىٰ للخلق[1].

ثم نراه في مواجهة الصدمة الثانية–وهو في كبره وهرمه وضعفه وحزنه–بعد أن فقد ولدين من أولاده؛ أحدهما أخذه العزيز، والآخر تخلف في مصر، نراه يقابل ذلك بالصبر والرضا والثقة في الله، فلم يتسرب اليأس من رحمة ربه لحظة واحدة إلىٰ قلبه، وهو يعلن عن ذلك بقوله: ﴿ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (يوسف:٨٣).

ثم نراه – في آخر محنته الطويلة – يواجه غيظ بنيه وتبكيتهم له بقولهم: ﴿ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ ﴾ (يوسف:٨٥) يعقب علىٰ ذلك بقوله: ﴿ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (يوسف:٨٦) فهو لا يشك في صدق ظنه بربه؛ ولذا فإنه يتوجه إليه وحده بشكواه ورجائه، طمعـًا في رحمته وروحه.

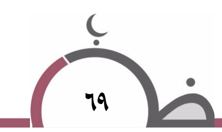
الصفة الثالثة: الأخذ بالأسباب، مع التوكل علىٰ الله: فقد كان من كمال شخصية يعقوب عليه السلام البشرية: الاتزان في الأخذ بالأسباب مع التسليم لمسبب الأسباب والتوكل عليه سبحانه.

ومن ذلك قوله لبنيه عندما قصدوا مصر: ﴿ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (يوسف:٦٧)، ومن ذلك أيضا قوله: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ (يوسف:٨٧).

فقد وصاهم عليه السلام ألا يدخلوا من باب واحد، وأن يدخلوا من أبواب متفرقة.

وقد ذكر المفسرون أسبابا متعددة لوصية يعقوب عليه السلام هذه لأبنائه، ومن ذلك ما ذكره

(١) يُنظر: مفاتيح الغيب، للرازي (١٨/ ٤٣١).



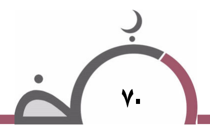
الألوسي في تفسيره: «أنه نهاهم عن الدخول من باب واحد، حذرا من إصابة العين؛ أي من الحسد؛ فإنهم كانوا ذوي جمال وشارة حسنة فكانوا مظنة لأن يعانوا – أي: لأن يحسدوا – إذا ما دخلوا كوكبة واحدة»(1).

وقيل: إن السبب في وصية يعقوب عليه السلام لأبنائه بهذه الوصية: خوفه عليهم من أن يسترعي عددهم حراس مدينة مصر إذا ما دخلوا من باب واحد، فيترامىٰ في أذهانهم أنهم جواسيس، أو ما شابه ذلك، فربما سجنوهم، أو حالوا بينهم وبين الوصول إلىٰ يوسف عليه السلام، وعلىٰ كل فإن هذه وصية منه عليه السلام وإرشاد لهم إلىٰ الأخذ بالأسباب(2).

وأما قوله: ﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ فهو تسليم منه لله، واعتراف بأن دخولهم من الأبواب المتفرقة لن يحول بينهم وبين ما قدره تعالىٰ وأراده لهم، وحده، ولن يدفع عنهم شيئا من قدر الله، فالحكم لله وحده، لا ينازعه في ذلك منازع، ولا يدافعه مدافع، وإنما هو أمرهم بذلك من باب الأخذ بالأسباب المشروعة، والتوكل علىٰ الله تعالىٰ، والاعتماد عليه لا يتعارض مع الأخذ بالأسباب التي شرعها الله وأمر بها؛ إذ إن كلا من التوكل والأخذ بالأسباب مطلوب من العبد، إلا أن العاقل عندما يأخذ بالأسباب يجزم بأن الحكم لله وحده في كل الأمور، وأن الأسباب ما هي إلا أمور عادية، يوجد الله تعالىٰ معها ما يريد إيجاده، ويمنع ما يريد منعه، فهو الفعال لما يريد(3).

الصفة الرابعة: الاستعانة بالله، وتلك صفة كانت ملازمة ليعقوب عليه السلام، وقد بدت هذه الصفة في شخصيته عندما أخبره بنوه بأن الذئب أكل يوسف، قال عليه السلام: ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا

(1) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي (٧/ ١٦).
(2) يُنظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (٧/ ٣٩٢).
(3) يُنظر: المرجع السابق (٧/ ٣٩٢).



تَصِفُونَ ﴾ (يوسف:١٨) أي: والله - تعالىٰ - وحده هو المطلوب عونه علىٰ إظهار حقيقة ما تصفون، وإثبات كونه كذبا، وأن يوسف ما زال حيا، وأنه سبحانه سيجمعني به في الوقت الذي يشاؤه[١]. يقول الإمام الرازي: «ولما ذكر يعقوب قوله: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ قال: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ والمعنىٰ: إن إقدامه علىٰ الصبر لا يمكن إلا بمعونة الله تعالىٰ؛ لأن الدواعي النفسانية تدعوه إلىٰ إظهار الجزع - وهي قوية - والدواعي الروحانية تدعوه إلىٰ الصبر والرضا، فكأنه وقعت المحاربة بين الصنفين، فما لم تحصر إعانة الله تعالىٰ لم تحصل الغلبة، فقوله: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ يجري مجرىٰ قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ (الفاتحة:٥)، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ يجري مجرىٰ قوله: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة:٥)»[٢].

الصفة الخامسة: حسن الظن بالله، فمن صفات يعقوب التي برزت في هذه القصة: الثقة بالله، وحسن الظن به: وقد بدا لنا ذلك في مشاهد عديدة من مشاهد القصة:

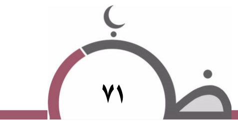
ومن ذلك: موقفه عليه السلام عندما طلب أبناؤه أن يرسل معهم أخاهم؛ لأن العزيز منع كيلهم، واشترط مجيئه، وتعهدوا بحفظه، قال: ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (يوسف:٦٤) إنني لا أثق بوعودكم، وإنما أثق بحفظ الله ورعايته، فمن حفظه، حفظ وسلم، ومن لم يحفظه لم يسلم، كما لم يسلم أخوه يوسف من قبل حين ائتمنتكم عليه. ولما فتحوا أوعيتهم ووجدوا بداخلها ثمن الطعام الذي اشتروه من عزيز مصر، ألحوا عليهم أن يسمح لهم باصطحاب أخيهم؛ ليزدادوا كيل بعير، فوافق علىٰ طلبهم بعد أن أخذ عليهم الميثاق، ثم قال: ﴿ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ (يوسف:٦٦) أي: مطلع ورقيب، وسيجازي الأوفياء خيرا، وسيجازي الناقضين لعهودهم بما يستحقون من عقاب[٣].

---

(١) يُنظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (٧/ ٣٢١).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (١٨/ ٤٣٢).

(٣) يُنظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (٧/ ٣٨٩).



ومن ذلك أيضـاً: موقفه من أبنائه بعد أن عادوا من مصر، وقالوا له: ﴿ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ ﴾ (يوسف:٨١) فكان رده عليهم يدل علىٰ كمال إيمانه، وسعة آماله في رحمة الله تعالىٰ: ﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ ﴾ (يوسف:٨٣) فقد شكك في صدق ما أثبتوه لأنفسهم من البراءة؛ بسبب ماضيهم معه، فإنهم قد سبق لهم أن فجعوه في يوسف بعد أن عاهدوه علىٰ المحافظة عليه، وبعد أن تسلح بالصبر، لجأ إلىٰ حصول الفرج، فقال: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (يوسف:٨٣) فهذه الجملة التي تدل علىٰ قوة أمله في رحمة الله، وفي رجائه الذي لا يخيب في أن يجمع شمله بأبنائه جميعـاً، فمع طول محنته، وكثرة بلائه كان حسن الظن برحمة الله، يعلم أنه – تعالىٰ – سيجعل له فرجا ومخرجا قريبـاً[١].

ومن مشاهد ثقة يعقوب عليه السلام وحسن ظنه بالله: قوله لأبنائه – وهم يجادلونه في ريح يوسف –: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ ﴾ (يوسف: ٨٧)، وأمره لهم بالبحث الجاد الحكيم المتأني مع عدم اليأس، وأوصاهم ألا يقنطوا من فرج الله، وسعة رحمته؛ «فإن الرجاء يوجب للعبد السعي والاجتهاد فيما رجاه، والإياس: يوجب له التثاقل والتباطؤ، وأولىٰ ما رجا العباد، فضل الله وإحسانه ورحمته وروحه»[٢].

ثم عقب بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ (يوسف:٨٧) أما المؤمنون فلا ييأسون من رحمة الله مهما بلغ بهم الشدة والكرب، يقول الشيخ السعدي: «ودل هذا علىٰ أنه بحسب إيمان العبد يكون رجاؤه لرحمة الله وروحه»[٣].

الصفة السادسة: الوضوح والشفافية، فقد اتسمت شخصية يعقوب عليه السلام في كل مشاهد

---

(١) يُنظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (٧/ ٤٠٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص٤٠٤).

(٣) المرجع السابق (ص٤٠٤).

القصة بالشفافية والوضوح، فهو لا ينكر لأبنائه حبه ليوسف، ويعلن لهم بكل وضوح أن فراقه يحزنه: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴾ (يوسف:١٣) ثم هو يواجههم بحقيقة أمرهم لما قالوا: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾ (يوسف:١٧)، فيقول لهم: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ (يوسف: ١٨)، وعندما طلب أبناؤه أن يرسل معهم أخاهم، وتعهدوا بحفظه، قال: ﴿ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ﴾ (يوسف:٦٤) فلما ألحوا في طلبه لم يرسله معهم حتىٰ أخذ عليهم العهود والمواثيق، قال: ﴿ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ ﴾ (يوسف:٦٦).

الصفة السابعة: الإيثار: وذلك بتقديم المصلحة العامة علىٰ المصلحة الخاصة، وقد بدت لنا هذه الصفة عندما ألح أبناء يعقوب عليه السلام أن يأخذوا أخاهم الذي طلبه منهم عزيز مصر في مقابل أن يعطيهم كيلا يقتاتون به في السنوات العجاف، فأرسله معهم، مع حبه له، وخوفه عليه، وألمه لفراقه. يقول ابن كثير: «وإنما فعل ذلك؛ لأنه لم يجد بدًّا من بعثهم لأجل الميرة التي لا غنىٰ لهم عنها فبعثه معهم»[1].

الصفة الثامنة: الفطنة، يقول الإمام الرازي: «أن يعقوب عليه السلام كان شديد الحب ليوسف وأخيه، فحسده إخوته لهذا السبب، وظهر ذلك المعنىٰ ليعقوب عليه السلام بالأمارات الكثيرة، فلما ذكر يوسف عليه السلام هذه الرؤيا وكان تأويلها أن إخوته وأبويه يخضعون له، فقال: لا تخبرهم برؤياك فإنهم يعرفون تأويلها، فيكيدوا لك كيدا»[2].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٣٩٩).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (١٨/ ٤٢٠).



الصفة التاسعة: رقة القلب، وقد بدت لنا هذه الصفة في مشاهد عديدة من مشاهد القصة، فمن ذلك قوله: ﴿ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ ﴾ ولما انتابته الأحزان والهموم، وتجددت في قلبه الشجون تركهم واعتزل مجلسهم. وقال: ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (يوسف:٨٤)، ولما قالوا: ﴿ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴾ (يوسف:٨٥)، قال: ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (يوسف:٨٦). يقول صاحب الكشاف: «فإن قلت: كيف جاز لنبي الله أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ؟ قلت: الإنسان مجبول علىٰ أن لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن... ولقد بكىٰ رسول الله ﷺ علىٰ ولده إبراهيم وقال: (القَلْبَ يَجزعُ، والعَيْنَ تَدْمَعُ، وَلَا نَقُولُ مَا يَسخط الرب، وَإِنَّا عَليك يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ)[١]، وإنما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة، ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب...»[٢].

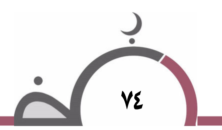
الصفة العاشرة: الإحسان، فمن صفات يعقوب التي أشارت إليها الآيات التعامل بالإحسان والتجاوز عن زلات الآخرين، وقد بدت في قوله لأبنائه: ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (يوسف:٩٨)، وقد قيل: إنه أخر الاستغفار لهم إلىٰ وقت السحر الفاضل، ليكون أتمَّ للاستغفار، وأقرب للإجابة. وقيل: إلىٰ يوم الجمعة وقت الإجابة[٣].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: قول النبي ﷺ: (إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ) (٢/ ٨٣)، رقم (١٣٠٣)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الفضائل، باب: رَحْمَتِهِ ﷺ الصِّبْيَانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِهِ وَفَضْلِ ذَلِكَ (٤/ ١٨٠٧)، رقم (٦٢).

(٢) الكشاف (٤/ ٤٩٧، ٤٩٨).

(٣) يُنظر: مفاتيح الغيب، للرازي (١٨/ ٥٠٩)، إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٤/ ٣٠٦).



النموذج الثاني: يوسف عليه السلام:

وشخصية يوسف عليه السلام هي الشخصية الرئيسة في القصة، وهي تمثل النموذج للشخصية الربانية، والنفس المطمئنة.

صفات هذه النفس كما عرضتها الآيات:

الصفة الأولىٰ: المراقبة، فأول ما يلفت نظرنا في شخصية يوسف مراقبة الله، والبعد عن المعصية، وقد كان لمراقبة يوسف عليه السلام لله، وبُعده عن المعصية صور عديدة، عبر عنها عليه السلام بالقول وبالفعل:

فأما التعبير بالقول فمن وجوه:

الوجه الأول: قوله عليه السلام للمرأة عندما عرضت عليه نفسها، ودعته إلىٰ ارتكاب الفاحشة ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ (يوسف:٢٣) فما أن عرضت نفسها عليه، حتىٰ استشعر مراقبة الله، واستحضر عظمته، واستعاذ به - سبحانه - أن يرتكب الفاحشة، وامتنع عن إجابتها أشد الامتناع.

الوجه الثاني: أنه اتبع الاستعاذة بما يقوي اجتنابه للمعاصي، وهو رعاية حرمة سيده الذي أحسن إليه، وأكرم مثواه، فقال: ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ ﴾ (يوسف:٢٣) فلن يقابل الإحسان بالإساءة - بارتكاب الفاحشة في أهله - ولن يكون ممن يخونون الأمانة فيما اؤتمنوا عليه، أو يجحدون نعمة من كان له نعمة وفضل عليهم.

الوجه الثالث: قوله: ﴿ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (يوسف:٢٣) الذين يعتدون علىٰ حقوق الناس، فيخونون الأمانة فيما اؤتمنوا عليه، فلن يكون عليه السلام من أولئك الظالمين. يقول أبو السعود: «وهذا اجتناب منه علىٰ أتم الوجوه، وإشارة إلىٰ التعليل بأنه منكر هائل، يجب أن يعاذ بالله - تعالىٰ - للخلاص منه، وما ذاك إلا لأنه عليه السلام قد شاهد بما أراه الله ﷻ من البرهان النير علىٰ ما هو عليه في حد ذاته من غاية القبح، ونهاية السوء»[1].

---

(١) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٤/ ٢٦٥).

وأما التعبير عن ترك المعصية واجتنابها بالفعل:

فهو ما بدا لنا من هروب يوسف عليه السلام من المرأة، وفراره منها، عندما غلقت الأبواب. يقول الإمام الرازي: «اعلم أنه - تعالىٰ - لما حكىٰ عنها أنها همت، أتبعه بكيفية طلبها وهربه فقال: ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ (يوسف:٢٥)، والمراد أنه هرب منها، وحاول الخروج من الباب، وعدت المرأة خلفه لتجذبه إلىٰ نفسها. والاستباق «طلب السبق إلىٰ الشيء، ومعناه تبادر إلىٰ الباب يجتهد كل واحد منهما أن يسبق صاحبه، فإن سبق يوسف فتح الباب وخرج، وإن سبقت المرأة أمسكت الباب لئلا يخرج. واعلم أن يوسف عليه السلام سبقها إلىٰ الباب، وأراد الخروج، والمرأة تعدو خلفه، فلم تصل إلا إلىٰ دبر القميص فقدته؛ أي قطعته طولا»[(١)].

الصفة الثانية: الإخلاص، وقد وصف الله تعالىٰ يوسف بذلك في قوله: ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ (يوسف:٢٤)، والمخلصون هم الذين أخلصهم الله تعالىٰ لطاعته؛ بأن عصمهم عما هو قادحٌ فيهم، وهذه الجملة تعليلٌ لما سبق من مضمون الجملةِ بطريق التحقيقِ، فما كانت مراقبة يوسف عليه السلام لربه، وابتعاده عن المعصية إلا لأنه كان من الموصوفين بالإخلاص الذي أشار إليه قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾.

وسر التعبير هنا بالإخلاص؛ لتكون شهادة من الله ببراءته، وإقرار من إبليس بذلك أيضـًا. يقول الإمام الرازي: «وأما بيان أن إبليس أقر بطهارته، فلأنه قال: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ (ص:٨٣) فأقر بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين، ويوسف من المخلصين لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ فكان هذا إقرارا من إبليس بأنه ما أغواه، وما أضله عن طريقة الهدىٰ»[(٢)].

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (١٨/ ٤٤٥) باختصار.

(٢) المرجع السابق (١٨/ ٤٤١).

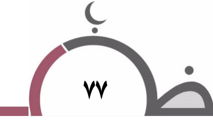
الصفة الثالثة: الاستعانة بالله، فقد كان يوسف في كل حالاته معترفًا بضعفه، مستعينًا بالله، مكثراً من اللجوء إليه، والاعتصام به: وقد ظهرت هذه الصفة ويوسف عليه السلام يستشعر ضعفه، أمام كيد النسوة، ومكرهن، عندما دعتهن امرأة العزيز، وأمرته أن يخرج عليهن ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝٣١ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴾ (يوسف:٣١-٣٢) هنا استشعر يوسف عليه السلام ضعفه، فتوجه إلىٰ ربه يطلب العون، فقال: ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ (يوسف:٣٣).

يقول أبو السعود: «هذا فزع منه عليه السلام إلىٰ ألطاف الله تعالىٰ، جريا علىٰ سنن الأنبياء والصالحين، في قصر نيل الخيرات، والنجاة من الشرور، علىٰ جناب الله عز وجل وسلب القوىٰ والقدر عن أنفسهم، ومبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيدهن؛ بإظهار أن لا طاقة له بالمدافعة؛ كقول المستغيث: أدركني وإلا هلكت؛ لا أنه يطلب الإجبار والإلجاء إلىٰ العصمة والعفة، وفي نفسه داعية تدعوه إلىٰ هواهن»[1].

الصفة الرابعة: الصبر علىٰ البلاء، وقد بدا لنا ذلك في مشاهد عديدة من مشاهد القصة؛ وهي ابتلاءات متنوعة في طبيعتها وفي اتجاهاتها، ابتلاءات الشدة وابتلاءات الرخاء، وابتلاءات الفتنة بالشهوة، والفتنة بالسلطان.

وقد قابل يوسف عليه السلام جميع الابتلاءات بالصبر، فصبر علىٰ ما فعله إخوته به، وصبر علىٰ ابتلاء السجن وابتلاء الجب، وابتلاء الرق، ثم صبر علىٰ المعصية «وهذه المحنة العظيمة أعظم علىٰ يوسف من محنة إخوته، وصبره عليها أعظم أجراً؛ لأنه صبر اختيار مع وجود الدواعي

(١) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٤/ ٢٧٤).



الكثيرة لوقوع الفعل، فقدم محبة الله عليها، وأما محنته بإخوته، فصبره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد بغير اختياره، وليس له ملجأ إلا الصبر عليها، طائعا أو كارها، وذلك أن يوسف عليه السلام بقي مكرما في بيت العزيز، وكان له من الجمال والكمال والبهاء ما أوجب ذلك، أن ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ ﴾ (يوسف: ٢٣) أي: هو غلامها، وتحت تدبيرها، والمسكن واحد، يتيسر إيقاع الأمر المكروه من غير إشعار أحد، ولا إحساس بشر وهو أسير تحت يدها، وهي سيدته، وفيها من الجمال ما يدعو إلىٰ ما هنالك، وهو شاب عزب، وقد توعدته، إن لم يفعل ما تأمره به بالسجن، أو العذاب الأليم. فصبر عن معصية الله، مع وجود الداعي القوي فيه؛ لأنه قد هم فيها هما تركه لله، وقدم مراد الله علىٰ مراد النفس الأمارة بالسوء»[1].

وكما صبر عليه السلام علىٰ الشدة والفتنة صبر علىٰ الفتنة بالسلطان، فما أن اعترف إخوته بخطئهم في حقه، حتىٰ حن لهم ورق، فقال: ﴿ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (يوسف:٩٢) فينجح يوسف عليه السلام في الابتلاء بالنعمة، كما نجح من قبل في الابتلاء بالشدة. إنه كان من المحسنين.

الصفة الخامسة: حفظ الأمانة، وقد ظهرت هذه الصفة في موقف يوسف عليه السلام عندما راودته المرأة عن نفسها، فكان من جملة ما اعتذر به عن ارتكاب المعصية قوله: ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (يوسف:٢٣).

فكما ترك يوسف عليه السلام المعصية خشية من الله تعالىٰ، فإنه تركها كذلك مراعاة لحق سيده الذي أحسن إليه، وأكرم مثواه، ولن يقابل إحسانه بارتكاب الفاحشة في أهله؛ لأن ذلك ظلم، ولن يكون من الظالمين الذين يعتدون علىٰ حقوق الناس، فيخونون الأمانة فيما اؤتمنوا عليه، أو

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص٣٩٦).

يجحدون نعمة من كان له نعمة وفضل عليهم. يقول السعدي: «والحاصل أنه جعل الموانع له من هذا الفعل: تقوىٰ الله، ومراعاة حق سيده الذي أكرمه، وصيانة نفسه عن الظلم الذي لا يفلح من تعاطاه»(١).

الصفة السادسة: العدل، وقد تجلىٰ لنا ذلك في موقف يوسف ﷺ من إخوته عندما قالوا: ﴿ فَخُذْ أَحَدَنَا ﴾ (يوسف:٧٨)، قال: ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (يوسف:٢٣) أي معاذ الله أن نأخذ البريء بالمجرم، ونخالف ما تعاقدنا عليه، لقد تعديت وظلمت إن آذيت إنسانا بجرم صدر عن غيره.

وقد تجلىٰ العدل في شخصية يوسف ﷺ حتىٰ في اختيار الألفاظ، «قال معاذ الله يعني: قال يوسف أعوذ بالله معاذا أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده لم يقل سرق تحرزا عن الكذب لأنه يعلم أخاه ليس بسارق»(٢).

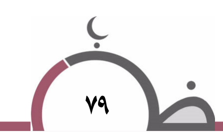
الصفة السابعة: الحكمة، بدت لنا في مشاهد عديدة من مشاهد القصة:

المشهد الأول: قول يوسف ﷺ للرسول الذي جاءه من قبل الملك: ﴿ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ﴾ (يوسف:٥٠) فقد رد ﷺ أمر الملك باستدعائه، ولم يستعجل في الخروج؛ حتىٰ يستوثق الملك من أمره، وحتىٰ يتحقق من شأن النسوة اللاتي قطعن أيديهن.

ومن حكمته ونضج عقله في ذلك: أنه طلب أن يكون هذا التحقق في غيبته؛ لتظهر الحقيقة خالصة ناصعة، دون أن يتدخل هو في مناقشتها؛ ليكون ذلك أدعىٰ في الإقرار ببراءته، وهذا من حكمته، ونضج عقله، فلم يبادر بالخروج من السجن، حتىٰ يتبين الحق واضحا في موقفه، وتعلن براءته علىٰ الأشهاد. يقول الزمخشري: «إنما تأنىٰ وتثبت في إجابة الملك، وقدَّم سؤال النسوة؛

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص٣٩٦).

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلي بن محمد الخازن (٢/ ٥٤٧).



ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه؛ لئلا يتسلق به الحاسدون إلىٰ تقبيح أمره عنده، ويجعلوه سلما إلىٰ حط منزلته لديه، ولئلا يقولوا: ما خلد في السجن إلا لأمر عظيم وجرم كبير حق به أن يسجن ويعذب، ويستكف شره. وفيه دليل علىٰ أن الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها»[1].

ومن حكمته كذلك: أنه جمع النسوة مع امرأة العزيز، ولم يقصر المراودة عليها؛ لدلالة علىٰ أنهن أيضا راودنه، اشتهينه، «وجعل السؤال عن النسوة اللائي قطعن أيديهن دون امرأة العزيز، وفاء لحق زوجها، واحترازا من مكرها، ولأنهن كن شواهد علىٰ إقرارها بأنها قد راودته عن نفسه، فقد قالت أمامهن بكل تبجح وتكشف: ﴿ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ (يوسف:٣٢)، واكتفىٰ بالسؤال عن تقطيع أيديهن، دون التعرض لكيدهن له؛ سترا لهن، وتنزها منه عليه السلام عن ذكرهن بما يسوؤهن؛ ولذا فقد اكتفىٰ بالإشارة الإجمالية إلىٰ كيدهن، وفوض أمرهن إلىٰ الله تعالىٰ فقال: ﴿ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف:٥٠)، ولا شك في أن امتناع يوسف عليه السلام عن الذهاب إلىٰ الملك إلا بعد التحقيق في قضيته، يدل دلالة واضحة علىٰ صبره، وسمو نفسه، وعلو همته"[2].

المشهد الثاني: قوله للملك: ﴿ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف:٥٥) فقد طلب يوسف عليه السلام من الملك أن يجعله متصرفًا في خزائن مصر، معللا ذلك بأنه ﴿ حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ «وصفا لنفسه بالأمانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه، وإنما قال ذلك ليتوصل إلىٰ إمضاء أحكام الله تعالىٰ، وإقامة الحق وبسط العدل، والتمكن مما لأجله تبعث الأنبياء إلىٰ العباد، ولعلمه أنّ أحدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك، فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٤٧٧).

(٢) التفسير الوسيط، لطنطاوي (٧/ ٣٧٤).

والدنيا»[1].

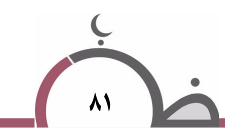
المشهد الثالث: وهو يواجه إخوته للمرة الأولىٰ بعدما فعلوا به ما فعلوا. فأكرم وفادتهم، وعاملهم معاملة طيبة جعلتهم يأنسون إليه، وكان مطمئنًا منضبطًا في انفعالاته وتصرفاته[2].

المشهد الرابع: وهو يدبر-بتدبير الله له-كيف يأخذ أخاه، فنلمح الشخصية الناضجة الواعية الحكيمة المطمئنة، الضابطة الصابرة. يقول القاسمي: «ثم تأمل في اقتدار يوسف عليه السلام علىٰ سياسة الملك، وكيف اجتذب إليه القلوب بالإحسان ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ (يوسف:٦٢) ...الآية، ودبر الحيلة العجيبة بمسألة الصواع والاتهام بالسرقة؛ ليضم أخاه إليه ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ﴾ (يوسف:٧٦) ...الآية، وعامل المحكومين بشرعهم ودينهم وملتهم وعادتهم، كما عليه جميع الأمم الشرقية الحية من الرفق بالأمة المحكومة لهم، فيسوسونهم بدينهم وعادتهم وشرعهم وأخلاقهم وأموالهم اتباعا لما رسمته الشريعة الغراء مما يناسب حكم سيدنا يوسف عليه السلام، وذلك أنه أمر أتباعه أن يسألوهم ﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ (يوسف:٧٤)، فكانت شريعة بني يعقوب أن يستعبدوا السارق سنة عند صاحب المتاع، فعاملهم بما هم عليه، ولذلك يقول الله تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (يوسف:٧٦)، امتدح علىٰ حسن خطته في السياسة ومراعاته عادة أولئك القوم، وهذه - وإن كانت مسألة بسيطة الظاهر - فهي أم السياسة ورأس علوم العمران، وأول ما يوصىٰ به السواس والعقلاء، تالله، ما أجمل القرآن! وما أبهج العلم! وليت شعري كيف يقول الله بعدها ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف:٧٦)! ولولا ما فيها من مبدأ شريف وحكم عالية مع وضوحها وبساطتها لذوي النظر السطحي والبله

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٤/ ٤٨٢).

(٢) التفسير الوسيط، لطنطاوي (٧/ ٣٨٤).



الغفل، ما أعطاها هذا الجلال والإعظام ومدح العلم! فحيا الله العلم وأدام دولته. ومن العجب الغريب تدبير هذه الحيلة بإخفاء الصواع، ثم نظر أمتعتهم ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾ (يوسف:٧٦) جميعا، وهذه: – وأيم الله – هي بعينها ما يصنعه ملوك الأرض قاطبة اليوم من السياسات والتلطف في الأمور الخفية، وإلباسها ألبسة مختلفة لسياسة بلادهم، وطلبا لحصول المقاصد النافعة، ودخولا للبيوت من أبوابها ولكن بينهم وبين هذا النبي بون بعيد»[١].

المشهد الخامس: عندما قال إخوته: ﴿ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ ﴾ (يوسف:٧٧)، وهذا يدل علىٰ حلمه، وضبط نفسه؛ حتىٰ لا يتمكن الغضب منه.

المشهد السادس: وقد بدت لنا هذه الصفة كذلك في إيثار الآجل علىٰ العاجل، وارتكاب أخف الضررين: يقول الإمام الرازي: «السجن في غاية المكروهية، وما دعونه إليه في غاية المطلوبية، فكيف قال: المشقة أحب إلي من اللذة؟ والجواب: أن تلك اللذة كانت تستعقب آلاما عظيمة، وهي الذم في الدنيا والعقاب في الآخرة، وذلك المكروه وهو اختيار السجن كان يستعقب سعادات عظيمة، وهي المدح في الدنيا والثواب الدائم في الآخرة؛ فلهذا السبب قال: ﴿ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ ﴾ (يوسف:٣٣)، وأيضا: حبسهم له معصية، كما أن الزنا معصية، فكيف يجوز أن يحب السجن مع أنه معصية. والجواب: تقدير الكلام أنه إذا كان لا بد من التزام أحد الأمرين أعني الزنا والسجن، فهذا أولىٰ، لأنه متىٰ وجب التزام أحد شيئين كل واحد منهما شر فأخفهما أولاهما بالتحمل»[٢].

---

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (٦/ ٢٤٤).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (١٨/ ٤٥١) باختصار.

الصفة الثامنة: الحرص علىٰ حسن السيرة، فقد كان يوسف حريصا علىٰ حسن سيرته، والتأكيد علىٰ سلامة عفته، وقد تجلت هذه الصفة في قول يوسف ﷺ للعزيز: ﴿ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ ﴾ (يوسف:٢٦) تعقيبا علىٰ قول المرأة: ﴿ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا ﴾ (يوسف:٢٥)، «وإنما قاله يوسف ﷺ لتنزيه نفسِه عما أُسند إليه من الخيانة، وعدم معرفة حقِّ السيد، ودفعِ ما عرضَتْه له من الأمرين. وفي التعبير عنها بضمير الغَيبة دون الخطاب، أو اسم الإشارةِ مراعاةٌ لحسن الأدبِ مع الإيماء إلىٰ الإعراض عنها»(١).

وقد بدت لنا هذه الصفة كذلك فيما قاله يوسف ﷺ للرسول الذي جاءه من قبل الملك: ﴿ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴾ (يوسف:٥٠). قال الزمخشري: «وفيه دليل علىٰ أن الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها»(٢).

الصفة التاسعة: سلامة الصدر، فنفس يوسف ﷺ نفس سليمة، خالية من الحقد والانتقام، تتسم بالعفو، وقبول الاعتذار، وقد بدت لنا هذه الصفة في مشاهد عديدة من مشاهد القصة:

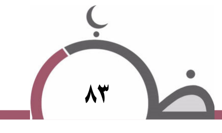
المشهد الأول: موقف يوسف ﷺ من إخوته حينما اعترفوا بذنبهم، وقد أظهره الله عليهم.

فما أن اعترف إخوة يوسف ﷺ بخطئهم في حقه، حتىٰ حن لهم ورق، وقال: ﴿ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (يوسف:٩٢) هكذا بكل حب ومودة، وسلامة صدر ﴿ لَا تَثۡرِيبَ﴾ أي: لا تعيير ولا توبيخ ولا لوم، ولا إثم عليكم، إنما أدعو الله تعالىٰ أن يغفر لكم ما كان منكم في حقي، وهو أرحم الراحمين. يقول القاسمي: «تنبيه: قال بعضهم: إن تجاوز يوسف عن ذنب إخوته، وإبقائه عليهم، ومصافاته لهم، تعلمنا أن نغفر لمن يسيء إلينا، ونحسن

---

(١) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٤/ ٢٦٨).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٤٧٧).



إليه، ونصفي له الود، وأن نغضي عن كل إهانة تلحق بنا، فيسبغ الله - تعالىٰ - إذ ذاك علينا نعمه وخيراته في هذه الدنيا، كما أوسع علىٰ يوسف ويورثنا السعادة الأخروية. وأما إذا أضمرنا السوء للمسيئين إلينا، ونقمنا منهم، فينتقم الله منا، ويوردنا مورد الثبور، فنعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا»[1].

المشهد الثاني: قول يوسف عليه السلام لإخوته - وهو يذكر نعم الله وآلائه -: ﴿ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾ (يوسف:١٠٠). يقول الإمام الرازي: «ولم يذكر إخراجه من البئر؛ لأنه قال لإخوته: ﴿ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ ﴾ (يوسف:٩٢)، ولو ذكر واقعة البئر لكان ذلك تثريبا لهم، فكان إهماله جاريا مجرىٰ الكرم»[2].

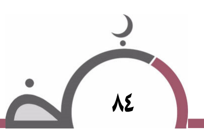
المشهد الثالث: قول يوسف عليه السلام: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ ﴾ (يوسف:١٠٠) فهو لا يريد أن ينسب ما فعلوه إليهم، وإنما يجعله من فعل الشيطان.

الصفة العاشرة: صاحبة دعوة، فقد كان يوسف صاحب دعوة، يعمل علىٰ نشرها تحت أي ظرف؛ فنرىٰ يوسف عليه السلام يعمل علىٰ نشر دعوته، ويعلن عن عقيدته في صورة واضحة كاملة دقيقة شاملة، حتىٰ في أشد الظروف وأحلكها، ومن ذلك السجن في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ.

فهو أولاً يتخير أنسب الأساليب والأوقات لنشر الدعوة، من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ﴾ (يوسف:٣٦-٣٧)، ثم يؤكد علىٰ مصدر هذا العلم؛ وأنه من عند الله الواحد القهار، فليس بعلم كهنة أو منجمين، فيقول: ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (٦/ ٢١٥).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (١٨/ ٥١٢).



يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ (يوسف:٣٧)، «وفي هذه الجملة الكريمة تعريض بما كان عليه العزيز وقومه، من إشراك وكفر، ولم يواجه الفتيان بأنهما علىٰ دين قومهما، وإنما ساق كلامه علىٰ سبيل العموم؛ لكي يزيد في استمالتهما إليه، وإقبالهما عليه... وهذا شأن الدعاة العقلاء، يلتزمون في دعوتهم إلىٰ الله الحكمة والموعظة الحسنة، بدون إحراج أو تنفير»(١).

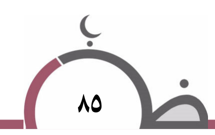
ثم هو يعلن عن عقيدته – عقيدة التوحيد – التي هي عقيدة آبائه؛ إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فيقول ﷺ: ﴿ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (يوسف:٣٧-٣٨)، وقد عرض ﷺ صورة للإسلام واضحة كاملة ودقيقة شاملة؛ من ناحية أصول العقيدة التي تشمل الإيمان بالله، والإيمان بالآخرة، والتوحيد، وعدم الشرك ومعرفة الله – سبحانه – بصفاته.

ثم ها هو يدعو من معه في السجن إلىٰ اعتناق تلك العقيدة، فبعد أن عرَّف صاحبيه في السجن بنفسه وبملته وبآبائه، شرع يقيم لهم الأدلة علىٰ صحة عقيدته، وعلىٰ فساد عقيدتهما فقال – كما حكىٰ القرآن عنه –: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (يوسف:٣٩ – ٤٠).

وبعد أن عرض دعوته عليهما قال: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴾ (يوسف:٤١).

الصفة الحادية عشرة: رعاية مصالح المجتمع، وقد بدا لنا ذلك في تأويل رؤيا الملك: ﴿ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ٤٧ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ

(١) التفسير الوسيط، لطنطاوي (٧/ ٣٦٠، ٣٦١).



سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾ (يوسف:٤٧ – ٤٩).

فلم يشترط يوسف ﷺ الخروج من السجن حتىٰ يعبر عن الرؤيا، ولم يبحث كذلك عن الانتقام من المجتمع الذي ظلمه، وألقاه في السجن بضع سنين، وإنما سارع علىٰ تأويل الرؤيا، وفي ثنايا تأويل الرؤيا نراه يضع الخطة المناسبة؛ حتىٰ يجنب البلاد ويلات السبع الشداد التي تشير إليها الرؤيا؛ فكان لهذا أثره ليس علىٰ مصر فحسب، وإنما علىٰ الشعوب المجاورة، يدلنا علىٰ ذلك أن المجاعة لما ضربت الناس قصد إخوته مصر دون غيرها، وهذا يدل علىٰ أن مصر كانت مقصد الناس آنذاك.

الصفة الثانية عشرة: العزة، فقد كان يوسف عزيز النفس، سامي الخلق، يعرف قدر نفسه، وقد بدت لنا هذه الصفة في مشاهد عديدة من مشاهد القصة:

المشهد الأول: عندما أبىٰ ﷺ أن يذهب لمقابلة الملك إلا بعد إعلان براءته: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ﴾ (يوسف:٥٠).

المشهد الثاني: قوله ﷺ للملك: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ (يوسف:٥٥).

فقد طلب يوسف ﷺ من الملك أن يجعله المتصرف الأول في خزائن أرض مملكته، المشتملة علىٰ ما يحتاج إليه الناس من أموال وأطعمة؛ معللا ذلك بأنه ﴿حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ «وصفا لنفسه بالأمانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه. وإنما قال ذلك؛ ليتوصل إلىٰ إمضاء أحكام الله تعالىٰ، وإقامة الحق وبسط العدل، والتمكن مما لأجله تُبعث الأنبياء إلىٰ العباد، ولعلمه أنّ أحدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك، فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا. فإن قلت: كيف جاز أن يتولىٰ عملا من يد كافر ويكون تبعًا له وتحت أمره وطاعته؟ قلت: روىٰ مجاهد أنه كان قد أسلم. وعن قتادة: هو دليل علىٰ أنه يجوز أن يتولىٰ الإنسان عملا من يد سلطان

جائر، وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه. وإذا علم النبي أو العالم أنه لا سبيل إلىٰ الحكم بأمر الله، ودفع الظلم إلا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق، فله أن يستظهر به»(١).

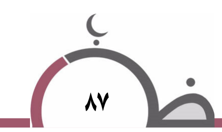
وقد استنبط الفقهاء من الآية أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بما فيه من علم وفضل - إذا دعت الضرورة إلىٰ ذلك - لا علىٰ سبيل التزكية بل علىٰ سبيل تسخير ما عنده من علم لرعاية مصالح الخلق. يقول القرطبي: «ودلت الآية أيضا علىٰ أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بما فيه من علم وفضل. قال الماوردي: وليس هذا علىٰ الإطلاق في عموم الصفات، ولكنه مخصوص فيما اقترن بوصله، أو تعلق بظاهر من مكسب، وممنوع منه فيما سواه، لما فيه من تزكية ومراءاة، ولو ميزه الفاضل عنه لكان أليق بفضله، فإن يوسف دعته الضرورة إليه لما سبق من حاله، ولما يرجو من الظفر بأهله»(٢).

الصفة الثالثة عشرة: الثناء علىٰ الله بما هو أهله، وقد بدا لنا ذلك في ثنائه علىٰ ربه - وقد آتاه الملك والعلم - فنرىٰ توجهه إليه في انكسار وفي خشوع، يناجيه بقوله: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ (يوسف:١٠١). سبحانك أنت الذي آتيني الملك والعلم بفضلك، لا بجهدي فأَنْتَ الذي تتولاني بالنعمة في الدارين، تَوَفَّنِي - سبحانك - علىٰ الإسلام، واجعلني في زمرة عبادك الصالحين.

الصفة الرابعة عشرة: الوفاء، وقد بدا لنا ذلك في قوله لإخوته: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (يوسف:٩٣) «أراد يوسف تبشير أبيه بحياته، وإدخال السرور عليه بذلك، وتصديقه بإرسال حلة من حلله التي كان يستشعر بها أو

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٤/ ٤٨٢) باختصار وتصرف.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٩/ ٢١٧).



يتدثر، ليكون في مقابلة القميص الأول، جالب الحزن، وغشاوة العين. و(الإلقاء علىٰ وجهه) بمعنىٰ المبالغة في تقريبه منه، لما ناله من ضعف بصره، فتراجع إليه قوة بصره، بانتعاش قلبه، بشمّه واطمئنانه علىٰ سلامته. وللمفرحات تأثير عظيم في صحة الجسم، وتقوية الأعضاء»[1].

الأثر الطيب لصفات النفس المطمئنة علىٰ الفرد والمجتمع:

النفس المطمئنة هي النفس الموصولة بالله – سبحانه –، وهي التي تمثل – بصفاتها – النموذج المتميز للشخصية الربانية، وقد أعطتنا السورة الكريمة علىٰ تلك النفس نموذجين؛ النموذج الأول: يعقوب ﷺ صاحب النفس المطمئنة، الشاكرة علىٰ العطاء الصابرة علىٰ البلاء. وأما النموذج الثاني فهو يوسف ﷺ صاحب الشخصية الرئيسة في القصة، وهي تمثل النموذج للشخصية الربانية، والنفس المطمئنة. وقد عرضت الآيات صفاته ﷺ عرضًا كاملاً في كل مجالات حياتها، بكل جوانب هذه الحياة، وبكل استجابات هذه الشخصية، في هذه الجوانب، وفي تلك المجالات.

وقد تبين لنا من خلال الآيات، الأثر الطيب لهذه النفس وصفاتها علىٰ الفرد والمجتمع؛ فقد كان ليعقوب ﷺ دور بارز في النصح والإرشاد لجميع أبنائه، والتربية علىٰ التوكل علىٰ الله، والأخذ بالأسباب، والعفو عن المذنبين، وقد أدىٰ هذا الدور إلىٰ إزالة العداوة والبغضاء من قلوب أبنائه، ولم الشمل من جديد. وذلك يعلمنا أن نغفر لمن يسيء إلينا، وأن نحسن إليه؛ ليسود الحب والود علىٰ المجتمع، وقد كان ذلك شأن نبينا ﷺ، وما فعله مع أهل مكة عند الفتح، خير مثال ذلك.

وأما يوسف ﷺ «فقد جاء في سيرته هذه ما يتخذه عقلاء الأمم هدىٰ لاختيار الأكفاء في مهام الأعمال، إذ قد حاز الملك والنبوة! ونحن لا قبل لنا بالنبوة لانقطاعها، وإنما نذكر ما يليق

---

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (٦/ ٢١٥).



بمقام رئاسة المدينة الفاضلة، ولنذكر منها أهم خصال رئيس المدينة الفاضلة؛ لتكون ذكرىٰ لمن يتفكر في القرآن، وتنبيها للمتعلمين – للفضائل – علىٰ نفائس الكتاب العظيم، وحبا في نظرهم في القرآن، وليعلموا أن تلك القصص وقد أودعت – ما لم يكن ليخطر علىٰ بال من سمعه للتغني به ومجرد اللهو واللعب – أهم ما شرطه الحكماء في رئيس المدينة الفاضلة»[1].

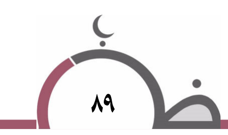
وجميع الصفات التي اتصف يوسف ﷺ هي صفات القادة والمصلحين، بيد أن هناك صفتين من الصفات التي اتصف بها ﷺ يظهر أثرهما بوضوح علىٰ الفرد والمجتمع.

الصفة الأولىٰ: مراقبته لله تعالىٰ، والبعد عن الفحشاء، فقد رأينا كيف كان يوسف ﷺ يراقب ربه تعالىٰ في كل حاله، وكيف كان حريصا كل الحرص علىٰ البعد عن الفاحشة، وعدم الاستجابة إلىٰ نزوات المرأة، وشهواتها، فتعلمنا منه ﷺ كيف يتعامل الشباب مع الفواحش، وكيف نقي أنفسنا، ونحافظ علىٰ مجتمعاتنا من انتشار الفاحشة؛ التي هي سبب في هلاك الشعوب والأمم.

كما تعلمنا كذلك من موقف يوسف ﷺ أن الله تعالىٰ يكون دائما مع المخلصين؛ الذين ينأون بأنفسهم عما حرَّم الله، وقد ظهر لنا ذلك عندما لجأ يوسف ﷺ إلىٰ ربه، واستعاذ به، أعانه الله تعالىٰ، وجزاه خير الجزاء؛ إذ صرف عنه جنس السوء والفحشاء، فقال سبحانه: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ ﴾ (يوسف:٢٤). يقول الإمام الرازي: «حكىٰ عن يوسف ﷺ أن المرأة لما راودته قال: ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ ﴾ (يوسف:٢٣)، فأعطاه الله تعالىٰ خلعتين؛ صرف السوء والفحشاء حيث قال: ﴿ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ ﴾ (يوسف:٢٤). وقيل له: ﴿ فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ ﴾ (يوسف:٧٨)، فقال: ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ﴾ (يوسف:٧٩)؛ فأكرمه الله تعالىٰ بقوله: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ ﴾ (يوسف:١٠٠)»[2].

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (٦/ ٢٤٤).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (١/ ٧٧) في الكلام علىٰ الاستعاذة.



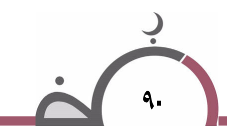
كما تعلمنا من شخصية يوسف عليه السلام كذلك أن عفة المسلم لا تقف في حدود اجتناب الرذيلة والفاحشة فحسب، بل إن من معاني العفة - كذلك - أن يكون المسلم حريصاً علىٰ سلامة سمعته، وحسن سيرته، وقد تجلت هذه الصفة في قول يوسف عليه السلام للعزيز: ﴿ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ﴾ (يوسف:٢٦) تعقيبا علىٰ قول المرأة: ﴿ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا ﴾ (يوسف:٢٥) فقصد بذلك الذود عن سمعته، وتنزيه نفسِه عما أسندته إليه المرأة من الخيانة، وعدم معرفة حقِّ السيد، كما بدا لنا ذلك فيما قاله يوسف عليه السلام للرسول الذي جاءه من قبل الملك: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف:٥٠) «وفيه دليل علىٰ أن الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفه»[١].

ويوسف عليه السلام يعلمنا بذلك أهمية الحفاظ علىٰ السمعة، حتىٰ لا يستهين الناس بالحديث عن الفاحشة والتجريء عليها، فإن الاستهانة بالحديث عن المعاصي، والإعلان عنها يجعلها هينة في أعين الناس، فيجترئون علىٰ ارتكابها، فتذيع الفواحش وتنتشر؛ وذلك من أسباب هلاك الفرد والمجتمع؛ لذا حذر الشرع الحنيف عن المجاهرة بالفواحش، فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلاَنُ، عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ)[٢]. وبينَّ صلى الله عليه وسلم أن الاستخفاف بالمعاصي، والإعلان عنها سبب في هلاك الأمم والشعوب، فقال صلى الله عليه وسلم: (لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّىٰ يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا)[٣].

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٤٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن علىٰ نفسه (٨/ ٢٠)، رقم (٦٠٦٩)، ومسلم في صحيحه، بَابُ النَّهْيِ عَنْ هَتْكِ الْإِنْسَانِ سِتْرَ نَفْسِهِ، (٤/ ٢٢٩١)، رقم (٢٩٩٠).

(٣) سبق تخريجه.



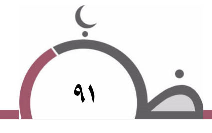
الصفة الثانية: العمل علىٰ تقدم المجتمع، فقد طلب يوسف عليه السلام من الملك أن يجعله متصرفًا في خزائن مصر، وقد علل ذلك بأنه ﴿حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ وإنما قال ذلك ليتوصل إلىٰ إقامة الحق وبسط العدل، ولعلمه أنّ أحدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك، وقد كان لذلك أثر بارز في صلاح المجتمع ونهضته واستقراره، وفي تجنب مصر والبلاد المجاورة لها أخطار المجاعة التي اجتاحت العالم آنذاك، وذلك شأن الصالحين في كل مكان وزمان، حينما يقومون بالأمر، فإن الله تعالىٰ يصلح بهم البلاد والعباد؛ شأن صحابة رسولنا ﷺ الذين ملؤوا الدنيا قسطًا وعدلا، بعد أن ملئت ظلما، وجورا.

***

الخاتمة

أهم النتائج:

- لم يتمكن أحد من كشف أغوار النفس البشرية كما كشفها القرآن الكريم الذي بيَّن حقيقة النفس ومكنونها وأسرارها، بيانًا راعىٰ فيه قدرة الإنسان علىٰ الإدراك والفهم، كما بيَّن علاقة الإنسان بالنفس، وحاجته إليها في أمور دينه ودنياه، وعندما حاول العقل الإنساني فهم النفس، ومعرفة كنهها وأسرارها، - بعيدًا عن وحي الله تعالىٰ - فإنه حار وتاه، وما توصّل إلىٰ حقيقة تقوم علىٰ برهان علمي مقنع، ولم يُخَلِّف بحثه إلا غموضًا.
- خلق الله النفس وجعلها مركزاً لقوىٰ الخير والشر في الإنسان، وأعطاها - سبحانه - القدرة علىٰ إدراك الخير والشر، والتمييز بينهما، والاستعداد لهما، وأعطىٰ الله - سبحانه - الإنسان السلطان علىٰ نفسه، والقدرة علىٰ ترويضها.
- تتنوع النفس الإنسانية إلىٰ ثلاثة أنواع؛ النفس الأمارة بالسوء، النفس اللَّوامة، النفس المطمئنة، وهي حالات تعتري الإنسان حسب قربه من ربه وبعده عنه، فإن كل إنسان لديه



استعداد للخير والشر، ولا يخلو بشر من صفات الخير ومن صفات الشر، كل ما هنالك أنها تزيد وتنقص.

- النّفس السوية التي يريدها القرآن هي التي تمد صاحبها بالقوة، وتشحنه بالعزيمة، فتدفعه إلىٰ الاعتراف بالخطأ، وإنصاف الخصم علىٰ أحسن الوجوه؛ ليستكمل الإنسان حياته، وهو يسير في طريق الحق.
- يتأثر المجتمع إيجابياً وسلبياً بانتشار الصفات الطيبة أو الخبيثة فيه.
- من أهم عوامل وحدة المجتمع وتماسكه: سلامة الصدور والعفو، وإشاعة روح المحبة والألفة.
- الاعتصام بالعفاف والشرف والأمانة، هو سلاح الصالحين في كل زمان ومكان.
- صفة الحقد والحسد أساس كل مهلكة، وسبب كل مفسدة، وتحمل علىٰ التقاتل والصد عن الحق.
- اختلاط الرجال بالنساء كثيرا ما يؤدي إلىٰ الوقوع في الفاحشة.
- عندما تتملك الشهوة الإنسان فإنها تدفعه إلىٰ الافتراء وإلصاق التهم بالآخرين.
- انتشار الفواحش سبب في هلاك الشعوب والأمم، وسبب لانتشار الأمراض التي لم تكن في الأمم السابقة.

أهم التوصيات:

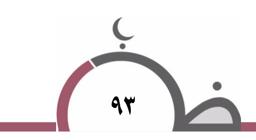
- العمل علىٰ إشاعة روح المودة والمحبة وتعميقها، وإزالة أسباب العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع، عن طريق النصح والإرشاد، وبيان الأثر السيئ للحقد والحسد، والأثر الطيب للألفة والمحبة.
- العمل علىٰ نشر الصفات الطيبة في المجتمع، وبيان أثر الفواحش في هلاك المجتمع.
- أن تعمل المؤسسات الدينية والثقافية علىٰ طباعة قصص القدوة الصالحة ونشرها؛ مثل

يوسف عليه السلام، وبيان صفاتها؛ ليقتدي بهم الشباب في التحلي بالصفات الطيبة.

- يجب على كل من يجد في نفسه علماً أو فضلاً - إذا دعت الضرورة إلى ذلك - أن يعلن عن نفسه، لا على سبيل التزكية، بل على سبيل تسخير ما عنده من علم لرعاية مصالح الخلق.
- يجب أن يتجنب المجتمع الاختلاط بين الرجال والنساء.

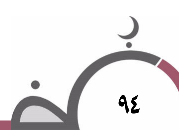
وصل اللهم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



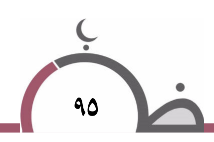


قائمة المصادر والمراجع

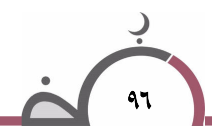
- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ)، تحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، د.م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (٩٨٢هـ)، د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- أسباب النزول، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد (٤٦٨هـ)، تخريج وتدقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، ط١، الدمام: دار الإصلاح، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله (٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (١٣٩٣هـ)، د.ط، بيروت - لبنان: دار الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٥٩م.
- البحر الزخار، البزار، أبي بكر أحمد بن عمرو العتكي (٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، ط١، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٩٨٨م - ٢٠٠٩م.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، د.ط، بيروت - لبنان: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف كتاب الله العزيز، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علىٰ النجار، عبد العليم الطحاوي، د.ط، القاهرة: نشر المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية، د.ت.
- البيان في عدّ آي القرآن، الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد (٤٤٤هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، ط١، الكويت: مركز المخطوطات والتراث، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ)، د.ط، تونس: الدار التونسية، ١٩٨٤م.



- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.
- تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي (٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط٣، المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفىٰ الباز، ١٤١٩هـ.
- التفسير القرآني للقرآن، الخطيب، د. عبدالكريم بن يونس (١٣٩٠هـ)، د.ط، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت.
- تفسير القرآن الكريم، ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (٧٥١هـ)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية إشراف: إبراهيم رمضان، ط١، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤١٠هـ.
- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (٥٨٣هـ)، د.ط، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.
- تفسير المراغي، المراغي، أحمد بن مصطفىٰ (١٣٧١هـ)، ط١، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابىٰ الحلبي وأولاده، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي البلخي (١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاتة، ط١، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٣هـ.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي، محمد سيد، ط١، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط١، د.م، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، د.م، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.



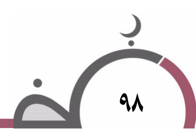
- الجامع المسند الصحيح، البخاري، محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ)، تحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، د.م، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، عبدالرحمن جلال الدين (٩١١هـ)، دار الفكر- بيروت.
- الروح في الكلام علىٰ أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (٧٥١هـ)، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (١٢٧٠هـ)، تحقق: علي عبد الباري عطية، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ.
- السراج المنير في الإعانة علىٰ معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب (٩٧٧هـ)، د.ط، القاهرة: مطبعة بولاق (الأميرية)، ١٢٨٥هـ.
- السنن، ابن ماجه، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، د.م، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسىٰ البابي الحلبي، د.ت.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد (٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ.
- غريب الحديث، الجوزي، أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ)، تحقيق: د. عبدالمعطي أمين القلعجي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، محمد بن علي (١٢٥٠هـ)، ط١، دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ.
- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (٨١٩هـ)، ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- كتاب التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (٨١٦هـ)، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

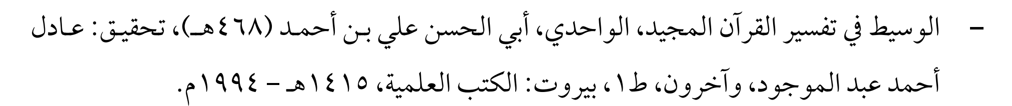


- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، أبي إسحاق أحمد بن محمد (٤٢٧هـ)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، مراجعة: نظير الساعدي، د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، أبي الحسن علي بن محمد الشيحي (٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
- لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ)، ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.
- مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية، أبي العباس أحمد بن عبد الحليم (٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، د.ط، المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- محاسن التأويل، القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد (١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، أبي محمد عبد الحق بن غالب (٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.
- مختار الصحاح، الرازي، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، بيروت - صيدا: المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- المستدرك علىٰ الصحيحين، الحاكم، أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- مسند أبي يعلىٰ، أبي يعلىٰ، أحمد بن علي بن المُثنىٰ الموصلي (٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، ط١، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- مسند الإمام أحمد بن حبل، ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني (٢٤١هـ)، تحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، د.ط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- المسند الصحيح المختصر، مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.



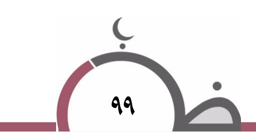
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، أبي محمد الحسين بن مسعود (٥١٠هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، ط٤، د.م، دار طيبة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، أبي إسحاق إبراهيم بن السري (٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- معجم الفروق اللغوية، العسكري، أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (٣٩٥هـ)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ط١، قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤١٢هـ.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة: إبراهيم مصطفىٰ، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، د.ط، د.م، دار الدعوة، د.ت.
- مفاتيح الغيب، الرازي، محمد بن عمر (٦٠٦هـ)، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.
- المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد (٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دمشق - بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢هـ.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحنبلي (٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط١، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- الناسخ والمنسوخ. النَّحَّاس، أبي جعفر أحمد بن محمد (٣٣٨هـ)، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، ط١، الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٨هـ.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، إبراهيم بن عمر (٨٨٥هـ)، د.ط، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد الجزري (٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، د.ط، بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.





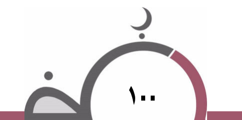
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، أبي الحسن علي بن أحمد (٤٦٨هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، ط١، بيروت: الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

* * *

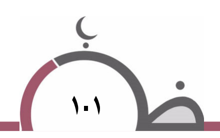


Bibliography

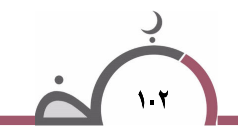
- *Al-Itqan fi Ulum Al-Qur'an* by Al-Suyuti, Jalaluddin Abdulrahman bin Abi Bakr (911H), edited by: Muhammad Abulfadl Ibrahim, publisher, the Egyptian General Book Authority, 1394H - 1974D.
- *Irshad Al-Aql Al-Salim Ila Mazaya Al-Qur'an Al-Karim* by Ebussuud, Muhammad bin Muhammad Al-Emadi (982H), publisher, Beirut: House of Revival of Arab Heritage, no date.
- *Asbab Al-Nuzoul (Reasons and occasions of revelations of the Holy Qur'an)* by Al-Wahidi, Abu Al-Hassan Ali bin Ahmed (468H), transmitted and edited by: Essam bin Abdul-Mohsen Al-Humaidan, 1st edition, Dammam: Dar Al-Islah, 1412H-1992D.
- *Al-Isti?ab Fi Ma?rifat Al-Ashab* by Al-Qurtubi, Abu Omar Yousef Bin Abdullah (463H), edited by: Ali Muhammad Al-Bajawi, 1st edition, Beirut: Dar Al-Jeel, 1412H - 1992D.
- *Adwa' Al-Bayan Fi Idah Al-Qur'an Bi Al-Qur'an* by Ash-Shanqeeti, Muhammad Al-Amin bin Muhammad Al-Mukhtar (1393H), publisher, Beirut - Lebanon: Dar Al-Fikr, 1415H-1959D.
- *Al-Bahr Al-Zakhkhar* by Al-Bazzar, Abu Bakr Ahmad bin Amr Al-Ataki (292H), edited by: Mahfouz Al-Rahman Zainullah et al, 1st edition, Al-Madinah Al-Munawwarah: Al-Uloom Wal-Hikam Library, 1988 - 2009D.
- *Tafsir Al-Bahr Al-Muhit* by Abu Hayyan Al-Andalusi, Muhammad bin Yousef (745H), edited by: Sedqi Muhammad Jamil, publisher, Beirut-Lebanon: Dar Al-Fikr, 1420H.
- *Bsaa'r Thoui Altamiiz Fi Ltaa'f kitab Allah Ala'ziz* by Al-Fayruzabadi, Muhammad bin Ya'qoub (817H), edited by: Muhammad Ali Al-Najjar, Abdul Alim Al-Tahawi, publisher, Cairo: Publication of The Supreme Council for Islamic Affairs, no date.
- *Al-Bayan Fi ?ddi Ayyi Al-Qur'an by Al-Dani*, Abu Amr Othman bin Saeed (444H), edited by: Ghanem Qadouri Al-Hamad, 1st edition, Kuwait: Center of Manuscripts and Heritage, 1414H - 1994D.
- *Al-Tahrir Wel-Tannwear* by bin Ashour, Muhammad Al-Taher bin Ashour (1393H), publisher, Tunisia: The Tunisian House, 1984D.
- *Tafsir Al-Qur'an Al-Azim* by Ibn Kathir, Abu Al-Fidaa Ismail bin Omar Al-Qurashi (774H), edited by: Muhammad Husain Shamsuddin, 1st edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, 1419H.
- *Tafsir Al-Qur'an Al-Azim* by Ibn Abi Hatim, Muhammad Abdulrahman bin Muhammad Al-Razi (327H), edited by: Asaad Muhammad Al-Tayyib, 3rd edition, Kingdom of Saudi Arabia, Maktabat Nizar Mustafa Al-Baz, 1419H.
- *Al-tafsir Al-Qur'any Lel-Qur'an (The Quranic Interpretation of the Qur'an)* by Al-Khatib, Dr. Abdelkrim bin Yunus (1390H), publisher, Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi, no date.



- *Tafsir Al-Qur'an Al-Karim* by Ibn Al-Qayyim Al-Jawziyyah, Muhammad bin Abi Bakr bin Ayyub bin Saad (751H), edited by: Office of Arab and Islamic Studies and Research, supervised by: Ibrahim Ramadan, 1st edition, Beirut: Dar Wa Maktabat Al-Hilal, 1410H.
- *Tafsir Al-Kashshaf ?an Haqa'iq At-Tanzil Wa Ayoun Al-Aqawel Fi Wejouh Al-Ta'wil* by al-Zamakhshari, Abu Al-Qasim Jarallah Mahmoud bin Omar (583H), publisher, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1407H.
- *Tafsir Al-Maraghi* by Al-Maraghi, Ahmed bin Mustafa (1371H), 1st edition, Egypt: Mustafa Al-Babi Al-Halabi & Sons' Library and Press Company, 1365H-1946D.
- *Tafsir Muqatil bin Suleiman*, Abu Al-Hasan Muqatil bin Suleiman Al-Azdi Al-Balkhi (150H), edited by: Abdullah Mahmoud Shehata, 1st edition, Beirut: House of Heritage Revival, 1423H.
- *Al-Tafsir Al-Wasit Lil-Quran Al-Karim* by Tantawi, Muhammad Sayed, 1st edition, Dar Nahdet Misr for Printing, Publishing and Distribution, al-Faggala - Cairo, 1st edition, 1998.
- *Taysir Al-Karim Al-Rahman Fi Tafsir Kalam Al-Manan*, Al-Saadi, Abdurrahman bin Nasir (1376H), edited by: Abdurrahman bin Mu'alla Al-Luaih'q, 1st edition, d.m., Al-Risala Foundation, 1420H - 2000D.
- *Jami? Al-Bayan Fi Ta'wil Al-Qur'an*, Al-Tabari, Abu Ja'far Muhammad bin Jarir (310H), edited by: Ahmad Muhammad Shakir, 1st edition, d.m., Al-Risala Foundation, 1420H-2000D.
- *Al-Jami? Li-Ahkam Al-Qur'an,* Al-Qurtubi, Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed (671H), edited by: Ahmad Al-Bardouni and Ibrahim Atfeesh, 2nd edition, Cairo: Dar Al-Kutub Al-Masrya, 1384H-1964D.
- *Al-Jami'?Al-Musnad Al-Sahih*, Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail (256H), edited by: Muhammad Zuhair ibn Nasser Al-Nasser, 1st edition, d.m., Dar Touq Al-Najat, 1422H.
- *Al-Durr Al-Manthur Fi AtTafsir Bil-Ma'thur*, Al-Suyuti, Abdurrahman Jalaluddin (911H), Dar Al-Fikr - Beirut.
- *Al-Rouh Fi Al-Kalam ?la Aruah Al-Amwat Wil-Ahya'a Bil-Dla'al Min Al-Kitab Wil-Sunnah*, Ibn al-Qayyim al-Jawziyyah, Muhammad bin Abi Bakr bin Ayyub bin Saad (751H), publisher, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, no date.
- *Ruh Al-Ma?ani Fi Tafsir Al-Qur'an Al-Azim Wil-Sab? Al-Mathani,* Al-Alusi, Shihabuddin Mahmoud bin Abdullah (1270H), edited by: Ali Abdul-Bari Attiyah, 1st edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, 1415H.
- *Zad Al-Maseer Fi ?Ilm Al-Tafsir*, Ibn Al-Jawzi, Abi Al-Faraj Jamal Al-Din Abdurrahman bin Ali (597H), edited by: Abderrazak Al-Mahdi, 1st edition, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1422H.
- *Al-Sirag Al-Munir Fi AL-I?anah 'Ala Ma?rifat Ba?d Ma?ani Kalam Rabbina Al-Hakim Al-Khabir*, Al-Sherbini, Muhammad bin Ahmed Al-Khatib (977H), publisher, Cairo: Bulaq (El-Amiriya) Press, 1285H.



- *Al-Sunan (Sunan Ibn Majah)*, Ibn Majah, Abu Abdullah Muhammad bin Yazid al-Qazwini (273H), edited by: Muhammad Fuad Abdul-Baqi, publisher, d.m., House of Revival of Arabic Books - Faisal Issa Al-Babi Al-Halabi, no date.
- *Ghara'ib Al-Qur'an Wa Ragha'ib Al-Furqan*, Al-Nisaburi, Nizam Al-Din Al-Hasan bin Muhammad (850H), edited by: Al-Sheikh Zakaria Omairat, 1st edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyah, 1416H.
- *Gharib Al-Hadith*, Al-Jawzi, Abi Al-Faraj Jamal Al-Din Abdurrahman bin Ali (597H) edited by: Dr. Abdel Muti Amin Al-Qal'aji, 1st edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, 1405H- 1985D.
- *Fath Al-Qadir Al-Jami? Bayna Fannay Al-Riwayah Wa-al-Dirayah Min ?lm Al-Tafsir*, Al-Shawkani, Muhammad bin Ali (1250H), 1st edition, Damascus: Dar Ibn Kathir, 1414H.
- *Al-Qamoos Ul-Muheet*, Al-Fayruzabadi, Majd Al-Din Muhammad bin Ya'qub (819H), 8th edition, Beirut: Al-Risala Foundation, 1426H -2005D.
- *Kitab Al-Ta?rifat*, Al-Jurjani, Ali bin Muhammad bin Ali Al-Zein Al-Sharif (deceased: 816H), 1st edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, 1403H-1983D
- *Al-Kashf Wal-Bayan ?an Tafsir Al-Qur'an,* Al-Tha'labi, Abi Ishaq Ahmad bin Muhammad (427H), edited by: Abu Muhammad bin Ashour, revised by: Nazeer Al-Saadi, publisher, Beirut: House of Revival of the Arabic Heritage, 1422H-2002D.
- *Lubab Al-Ta'wil fi Ma?ani Al-Tanzil*, Al-Khazen, Abi Al-Hasan Ali bin Muhammad Al-Shihi (741H) edited by: Muhammad Ali Shaheen, 1st edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, 1415H.
- *Lisan Al-Arab*, Ibn Manzur, Muhammad bin Makram (711H), 3rd edition, Beirut: Dar Sader, 1414H.
- *Majmoo? Al-Fatawa*, Ibn Taymiyyah, Abu Al-Abbas Ahmad bin Abdel-Halim (728H), edited by: Abdurrahman bin Muhammad bin Qasim, publisher, Medina: King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur'an, 1416H / 1995D.
- *Mahasin Al-Ta'wil*, Al-Qasimi, Muhammad Jamal Al-Din bin Muhammad Saeed (1332H), edited by: Muhammad Basil Uyun Al-Soud, 3rd edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, 1418H.
- *Al-Muharrar Al-Wajiz Fi Tafsir Al-Kitab Al-Aziz*, Ibn Attiyah Al-Andalusi, Abi Muhammad Abd Al-Haq bin Ghaleb (542H), edited by: Abdel-Salam Abdel-Shafi Muhammad, 1st edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, 1422H.
- *Mukhtar Al-Sahah*, Al-Razi, Abu Abdullah Muhammad bin Abi Bakr (666H), edited by: Yousef Al-Sheikh Muhammad, 5th edition, Beirut - Saida: The Modern Library, 1420H-1999D.
- *Al-Mustadrak 'Ala Al-Sahihain*, Al-Hakim, Abi Abdullah Muhammad bin Abdullah Al-Nisaburi (405H), edited by: Mustafa Abdel-Qader Atta, 1st edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, 1411H -1990D.
- *Musnad Abi Ya?la*, Abi Ya'la, Ahmad bin Ali bin Al-Muthanna Al-Mawsili (307H), edited by: Hussein Salim Asad, 1st edition, Damascus: Dar Al-Ma'mun for Heritage, 1404H - 1984D.



- *Musnad Al-Imam Ahmad ibn Hanbal*, Ibn Hanbal, Ahmad ibn Muhammad Al-Shaibani (241H), edited by: Shuaib Al-Arna'aut, Adel Murshid, supervised by / Dr. Abdullah bin Abdul-Mohsen Al-Turki, publisher, Beirut: Al-Risala Foundation, 1421H-2001D.
- *Al-Musnad Al-Sahih al-Mukhtasar,* Muslim bin Al-Hajjaj, Abul-Hasan Al-Qushayri Al-Nisaburi (261H), edited by: Muhammad Fuad Abdel-Baqi, publisher, Beirut: House of Revival of the Arabic Heritage, no date.
- *Ma?alim Al-Tanzil Fi Tafsir Al-Qur'an*, Al-Baghawi, Abi Muhammad Al-Hussein bin Masoud (510H), edited by: Muhammad Abdullah Al-Nimr, Othman Jumah Dumayriyah, Suleiman Muslim Al-Harsh, 4th edition, d.m., Dar Taibah, 1417H-1997D.
- *Ma?ani Al-Qur'an Wa I?rabuh*, Al-Zajjaj, Abi Ishaq Ibrahim bin Al-Suri (311H), edited by: Abd Al-Jalil Abdo Shalabi, 1st edition, Beirut: The World of Books, 1408H - 1988D
- *Mu?jam Al-Foruk Al-lughuya*, Al-Askari, Abi Hilal Al-Hassan bin Abdullah bin Sahl (395H), edited by: Al-Sheikh Baituallah Bayat, 1st edition, Qom: Islamic Publishing Institution affiliated to the Teachers Group, 1412H.
- *Al-Mu?jam Al-Wasit*, the Arabic Language Academy in Cairo: Ibrahim Mustafa, Ahmed Al-Zayat, Hamed Abdel-Qader, Muhammad Al-Najjar, publisher, d.m., Dar Al-Da'wah, no date.
- Mafatih Al-Ghayb, Al-Razi, Muhammad bin Omar (606H), 2nd edition, Beirut: House of Revival of the Arabic Heritage, 1420H.
- *Al-Mufradat Fi Gharib Al-Qur'an*, Al-Isfahani, Abi Al-Qasim Al-Hussein bin Muhammad (502H), edited by: Safwan Adnan Al-Daoudi, 1st edition, Damascus - Beirut: Dar Al-Qalam, Al-Dar Al-Shamiya, 1412H
- *Minhaj Al-Sunnah Al- Nabawiyah Fi Naqd Kalam Al-Shi'ah Al-Qadriyah,* Ibn Taymiyyah, Ahmad bin Abdul-Halim Al-Hanbali (728H), edited by: Muhammad Rashad Salem, 1st edition, Riyadh: Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University, 1406H-1986D.
- *Al-Nasikh Wal-Mansukh*, Al-Nahhas, Abi Ja'far Ahmad bin Muhammad (338H), edited by: Dr. Muhammad Abdul Salam Muhammad, 1st edition, Kuwait: Maktabat Al-Falah, 1408H.
- *Nazum Al-Durar Fi Tanasub Al-Ayat Wal-Suwar*, Al-Buqa'i, Ibrahim bin Omar (885H), publisher, Cairo: Dar Al-Kitab Al-Islami, no date.
- *Al-Nihayah Fi Gharib Al-Hadith Wal-Athar*, Ibn Al-Athir, Majd Al-Din Al-Mubarak bin Muhammad Al-Jazri (606H). edited by: Taher Ahmad Al-Zawy, Mahmoud Muhammad Al-Tanahi, publisher, Beirut: The Scientific Library, 1399H-1979D.
- *Al-Wasit Fi Tafsir Al-Qur'an Al-Majid*, Al-Wahidi, Abi Al-Hassan Ali bin Ahmed (468H), edited by: Adel Ahmed Abdul Mawgoud, et al, 1st edition, Beirut: Scientific Books, 1415H - 1994D.



